ملف خاص

عن الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

قصيدة: هذه بضعتي

السيد محمد رضا القزويني ٤

«خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل»

السيد علاء الموسوي ٥-٩

البيت الفاطمي تحت الكساء

السيد محمد علي الحلو ١٠-١٩

وقفة مع مصيبة الزهراء عليها السلام في قصيدة الشيخ محمد حسن سميسم

د. حسن الخاقاني ٢٠-٢٧

قصيدة:

هذه بضعتي

السيد محمد رضا القزويني •

أَصبُو لذكراكَ ضَمآناً فَتَرويني ... وَاليوم أَسقي بِها مَن كانَ يَسقيني
أصبُو لِـذكـراكَ وَالدنيا تناقلها ... بُشرى السَّعادة للدُنيا وَللدينِ
فمذْ ولدتِ وَيا منْ ساعة عظمتْ ... قد شعَّ وجهُ رسولِ اللّهِ في الحينِ
وَصـاحَ مُستَبشراً وَالفخرُ يملؤُهُ ... إنْ يَقطعوا رَحمي فاللّه يُعطيني
أيـنَ التواريخُ عن أقـوالِ شانئه؟ ... وَحكمة اللّه في نسلِ الميامينِ

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

لقدْ أطلَّتْ عَلى الدُنيا فكانَ بِها ... حفظُ الكرامةِ للأُنثى بمقرونِ
وَبدلّت شرعة الغابِ التي حَكَمت ... دنيا الأعاريب في شَكلٍ وَمضمونِ
بينا يُـبـرّز عِـلـجٌ قُـبـحَ فِعلتِهِ ... وَأد البناتِ بـأعـرافٍ وَقـانـونِ
يصيحُ أحمدُ هذي بضعَتي وَلها ... قَلبي فَمن كـانَ يُؤذيها فَيؤذيني
حكمٌ من اللّهِ لا من نزوةٍ طفحَتْ ... لكنّهُ الـوحـيُ في قَـولٍ وَتعيينِ
فـداكِ قـالَ أبـوكِ أنـتِ سيدةُ الـ ... نساءِ في الحشرِ ما بينَ الرياحينِ
نَمَت وشَبّت وكانَ الطهرُ شيمَتها ... أَنقى من الطهرِ بينَ الحورِ وَالعينِ
هـذا عليٌّ لَها كفؤٌ فزوَّجها الـ ... باري مِن العَرشِ في لوحٍ وَتدوينِ
وقـالَ مَـهـرُكِ أنـهـارٌ فأصدقها ... خمساً وما حُزنَ من ماءٍ ومِن طينِ
قالتْ وأكـرمْ بِهِ زَوجـاً وَلـي أملٌ ... إنَّ الشفاعةَ يومَ الحشرِ تُرضيني
فـقـالَ إنَّ الـذي تَـرضـاهُ فاطمةٌ ... لـكـلِّ مـا أنـا أرضـاهُ بِمرهونِ
فاستَبشري أمةَ الهادي بفاطمِ في ... أمرٍ لأهوالِ يومِ الحشرِ مَضمونِ ■

«خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل»

السيد علاء الموسوي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

روي عن الحسن البصري أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: أي شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل. فضمها إليه وقال: ذرية بعضها من بعض.

قد يصعب على الكثير من الناس في هذه الأزمنة استيعاب أن يطلب من المرأة أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل، لأن هذا الكلام يعني ـ فيما يعني ـ أن المرأة لابد أن تلغي الكثير الكثير من نشاطاتها وحركتها الاجتماعية، لأن أغلب تلك النشاطات

تتطلب اختلاطا في مجتمع الرجال حتى مع المحافظة على الموازين الشرعية والالتزام بالحجاب الكامل والعفة التامة. فإن ذلك يؤدي لا محالة إلى أن المرأة سترى الرجال وسيراها الرجال ولو بالشكل المسموح به شرعاً. ولذا لزم في مستهل كلامنا حول هذه المسألة أن نوضح الجو الذي صدر فيه كلامها صلوات الله عليها مما يلقي ضوءا على توضيح المقصود منه.

من الواضح أن الزهراء عليها السلام أجابت عن سؤال أبيها صلوات الله عليه وعلى آله عما هو خير للمرأة؟ لا عما هو واجب على المرأة، ولا عما يلزم المرأة من حجاب بشكل شرعي ملزم، ولا عما يحرم عليها أو يجب عليها. فالسؤال إذن حول ما هو خير، أي ما هو أفضل وأكمل وأتم لمصلحة المرأة ولعفافها وسعادتها.

إذن الكلام ليس في وارد الحكم الشرعي وما هو واجب أو محرم، بل هو في مقام بيان الأفضل والأتم للمرأة التي تنشد الكمال في العفة والدرجات الأعلى في التقوى والصلاح. وإلا فإن الأحكام الشرعية لهذه المسألة واضحة ومبينة في مقامات أخرى.

فليقتصر حديثنا إذن على هذا الجانب فقط وهو: ما هو الأفضل للمرأة، مع غض النظر عن الأحكام الشرعية في مسائل الحجاب والخروج من المنزل والنظر إلى الرجال، وغير ذلك مما يرتبط فقهيا بهذه الأمور.

المرأة والبيت

ما قالته الزهراء البتول صلوات الله عليها له لوازم منها:

أن لا تغادر المرأة بيتها قدر الإمكان، وأن تكمن المرأة في بيتها وتنشغل بتربية أطفالها وإدارة شؤون المنزل وتوفير أسباب الراحة والسعادة للزوج والأطفال قدر إمكانها. وهذا ما قد يواجه استنكار البعض الذي يعتبر هذا التكليف إجحافاً في حق المرأة، وبجعلها كائنا على هامش الحياة ويعزلها عن أدوارها الفاعلة في المجتمع كالمشاركة السياسية، والعمل الإداري، والعمل التجاري، وكافة ما يسمح للرجل بممارسته مما لا ينبغي أن تحرم منه المرأة باعتبار المساواة المفترضة بين الجنسين.

هذا الاعتراض وأمثاله ينطلق أمرين:

أولاً: تحقير البيت واعتبار ما يجري فيه وما ينتج عنه أمراً حقيراً وصغيراً وهامشياً لا يستحق أن تتفرغ له المرأة، ولا يرقى إلى مستوى المسؤوليات الملقاة على عاتق المرأة كقرين للرجل وشريك له في بناء الحياة.

وثانياً: المفهوم الخاطئ للمساواة.. الذي يفترض فيه أن معنى المساواة هو الإقرار بحق المرأة في ممارسة كل ما للرجل أن يمارسه من أعمال ونشاطات وفعاليات. دون تمييز بين ما هو مناسب لأنوثتها وما هو ليس كذلك، وبين ما هو مقدور لها بحسب قابليتها البدنية

والنفسية وبين ما هو بعيد عن متناولها كإنسانة ذات خصائص جسمية ونفسية خاصة.

أما موضوع تحقير البيت واعتباره مكانا معزولا عن المجتمع وهامشيا بحيث أن من يطلب منه لزوم البيت فكأنما وجهت إليه إهانة واستصغار، فهو خطأ فادح وقع فيه الكثير من النساء والرجال في هذه الأزمنة.

إن البيت هو المكان الذي يصنع فيه الإنسان، وتصاغ فيه نفوس الصغار ليكونوا صالحين أو طالحين، وهو المكان الذي يعد الإنسان ليكون ناجحا في دراسته أو عمله أو نشاطه أيا كان ذلك النشاط. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا بأنه أخطر مكان على الإطلاق في المجتمع. ففيه يكون الصالح صالحا، وفيه يكون المجرم مجرما، ومنه ينطلق الناجح إلى نجاحه، والفاشل إلى فشله، والفرد البناء إلى بنائه وخدمة مجتمعه، والفرد المخرب إلى تخريب ما حوله.

إن السلامة النفسية للإنسان عموما مرهونة بوجوده في بيت صالح وعائلة مستقرة يسودها الحب والحنان والتعاطف والتعاون. وهذا لا يتحقق إلا بما تملكه المرأة من قابلية عاطفية ونفسية تجعل منها الأم العطوف والزوجة الحنون.

إن إفراغ البيوت من النساء بأي حجة

أو ذريعة. هو إفراغ لموقع خطير للغاية ممن يستطيع إدارته حصرياً، وتركه خاليا يتلاعب فيه الخدم والخادمات. ومن ثم تعريض الأطفال إلى فراغ لا يسده غير الأم، وتعريض الأب إلى عقد ومشاكل لا منتهى لها إلا الطلاق إن كان الطلاق نهاية ولم يكن بداية لسلسة أخرى من الكوارث.

إن النظرة إلى البيوت يجب أن تتغير ويجب على أهل الفكر والنظر والقلم واللسان أن يبثوا بين الناس حقيقة الدور الخطير للبيت ولمن يملأه، لا أن يساهموا في هدر أهميته وتزهيد النساء في ذلك الموقع الخطير الذي لا يقل خطورة إن لم يزد عن أكبر المواقع الإدارية أو السياسية أو الاقتصادية في الحياة.

لقد صور هؤلاء للمرأة أن عملها في الموقع الفلاني هو تحقيق لذاتها وإثبات لشخصيتها وقابليتها، ولكنهم أغفلوا الموقع الأهم الذي تركته المرأة وراءها، والذي لا يمكن ملؤه إلا بوجودها، ولا يمكن لأحد غيرها القيام بشؤونه، في حين أن المواقع الإدارية والوظيفية على اختلاف مستوياتها، يمكن لأي أحد أن يملأها ولا ينحصر أداء المهام فيها بالمرأة.

نعم هناك وظائف لا يقوم بها إلا النساء كالطبابة النسائية والتعليم للنساء وأمثال ذلك مما هو مختص بهذا الجنس، وهذا لا حديث لنا فيه.

وأما أن تجلس المرأة خلف الطاولة طوال النهار لتختم على ورقة أو لتملأ استمارة أو لتجيب المراجعين على أسئلتهم أو لتبيع سلعة، وما إلى ذلك مما يمكن للغير أن يقوموا به، وتكون بذلك قد تركت وراءها بيتها الذي لا يستغني عنها. فهذا من الخطأ الفادح الذي لا تؤمن عواقبه.

وأما حديث المساواة بين الرجل والمرأة فضجيج أريد به إفساد المرأة أكثر مما أريد به إصلاح حالها، وأريد به استغلالها أكثر مما أريد به نفعها وإنقاذها. ونتائج الإحصائيات الموثقة للمساواة على النمط الغربي أكبر دال على أن أكبر متضرر بتلك الدعوات هي نفس المرأة لأنها دعوات غير خالصة من شوائب سوء النية والرغبة الجامحة في استخدام المرأة كسلعة يسهل تناولها والمتاجرة فيها، الأمر الذي أصبح عيانا لا شك فيه في عالم الغرب.

إن المساواة التي ينادي بها أولئك ما هي إلا فخ نصبوه للمرأة الغافلة وقعت فيه لتجد نفسها بعد ردح من الزمن سلعة تباع وتشترى ومادة للدعاية والإعلان لتسويق السلع التجارية، وصيدا سهلا للمتصيدين من الرجال الذين لا يهمهم عفاف المرأة ولا حريتها ولا حقوقها بقدر ما يهمهم أن ينالوا منها أوطارهم الفاسدة، ولك أن تراجع الإحصائيات الرسمية لعدد التحرشات الجنسية التي تتعرض لها النساء العاملات في أماكن العمل من قبل الرجال وخصوصا أرباب العمل. وستجد أن المحصلة النهائية للمناداة بالمساواة على النمط الغربي ما هي إلا دمار الأسر وسحق المرأة

تحت أرجل الرجال والقضاء على عفتها وكرامتها، وتركها بعد ذلك رخيصة لا قيمة لها سوى محاسنها التي ستزول يوما ما لترجع متشردة لا أهمية لها.

إن المساواة الحقيقية التي أسسها الإسلام يوم لم يكن في الغرب حق للمرأة في التملك والعمل وغير ذلك.. هي التساوي في الحقوق والواجبات.. لا في نوع العمل.. ولا في نوع الطعام.. ولا في نوع الملبس وشكله.. فان تحديد هذه الأمور راجع إلى طبيعة كل منهما.. فالأنثى لها لباس خاص يختلف عن لباس الرجل.. ولها عمل خاص تبرع به أكثر من أي رجل.. كما أن للرجل لباسه الخاص.. وأعماله التي يبرع بها ويؤديها أفضل من النساء بسبب تركيبته الجسمية والنفسية.. ومن الغباء بمكان المناداة بالمساواة مطلقاً بين الجنسين دون تمييز بين ما تصح فيه المساواة وبين ما لا تصح فيه..

إن كلمة المساواة من الكلمات المبهمة العريضة في معناها.. ولا يصح إطلاقها دون تحديد المراد منها.. ولنضرب مثلا هنا:

إذا نادى البعض بالمساواة في الأرزاق والرواتب بين جميع الناس فهل يعد ذلك أمراً معقولاً، إذ يطلب أن يكون راتب الطبيب كراتب الكناس مثلاً؟! إن المناداة بهذه المساواة مما يضحك منه الناس، بل يعده العقلاء ظلماً واعتداءً على أصحاب التخصص، وبخساً لحقهم، وتزهيداً للعالم في علمه، وللمجتهد في عمله ودراسته، وللبارع فيما برع فيه. إذ يتساوى عند ذاك الجاهل الذي لم يتعب نفسه في دراسة أو تحصيل، مع من أتعب نفسه وصرف عمره في التعلم.

إذن لا يمكن المناداة بالمساواة بشكل مطلق دون تحديد المعنى المراد منها لان هذه الكلمة لها معان مقبولة جداً ومطلوبة، ولها معان غير مقبولة عقلائياً بل تعد من الظلم والجور، وبدل أن تؤدي إلى إنصاف الناس ستؤدي إلى ظلمهم وإهدار حقوقهم.

إن المناداة بالمساواة من الأمور التي لابد من تجليتها وتحديد المراد منها حتى لا تتحول إلى منشأ للأوهام والأغلاط الفادحة.

وللبحث صلة إن شاء الله تعالى ■

مشاهدات الملأ الأعلى..

البيت الفاطمي تحت الكساء

السيد محمد علي الحلو •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع يعد حديث الكساء من أهم التراث المعصومي الذي وصل بين أيدينا، فهو بالرغم من تاريخ لواقعة مقدسة تحكي عن شأن أهل البيت عليهم السلام، أشارت سيرة السلف الصالح من علمائنا ومتدينينا بأن له من الآثار الوضعية في قراءته ما جرب في هذا الشأن، إذ يقرأ على المريض لغرض شفائه ليلتمس القارئ أثراً فعالاً بعد ذلك، أو قراءته في حل مهمة من المهام المتعسرة فإن بركة قراءة هذا الحديث سيسهل ما تعسّر منه، أو يرفع عن كاهل صاحب الحاجة ما تكأد به ثقله، إلى غير ذلك من الآثار التي يلمسها المداومون على هذا الذكر الكريم، إضافة إلى ما ذكره ذيل الدعاء في قول النبي صلى الله عليه وآله أنه (ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم إلا وفرج الله همه، ولا مغموم إلا وكشف الله غمه، ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته...) وهو حث على قراءته ومداومة تداوله.

سند الحديث

لم أجد ما يخدش في سند الحديث من اعتباره إلا بعض من تساءل عن السيد ماجد البحراني الذي روى عنه السيد هاشم البحراني هل (هو: السيد ماجد بن السيد هاشم بن علي المعروف في المشايخ وترجمة صاحب الحدائق في لؤلؤة البحرين فإن كان هو المقصود فهو لا يروي عن

السيد هاشم البحراني لبعد الطبقة بينهما إذ السيد هاشم البحراني توفي سنة ١٠٢٨ والسيد ماجد البحراني توفي سنة ١١٠٧ وبينهما ثمانين سنة، وإن كان هو ماجد بن محمد البحراني الذي ذكره الشيخ الحر العاملي في القسم الثاني من أمل الآمل وذكره أنه معاصره وأنه عالم جليل كان قاضياً في شيراز ثم في أصفهان، فهو غير معروف في المشايخ وأسانيد الأخبار، بل الظاهر أنه لا يروي عن الشيخ حسن بن زين الدين المذكور صاحب المعالم لبعد الطبقة بينهما)[1] هذا ما نقله المستدرك على كتاب العوالم السيد محمد باقر الأبطحي.

لكن غير واضح مقصوده من كون الفترة بين السيدين البحرانيين السيد ماجد والسيد هاشم هي ثمانون عام، وكأن ذلك مانع لرواية السيد ماجد عن السيد هاشم. علماً أن السند عبّر عنه بشيخه ولعل ذلك يعني مشيخة أجازة الرواية ولربما تحمل الرواية في بداية تحصيله، وكان السيد هاشم قد امتد به العمر فأدركه السيد ماجد ليروي عنه إجازة، وهو أمر لا يحتاج إلى استبعاد، واحتمالية المستدرك بأنه هو السيد ماجد بن محمد البحراني القاضي بعيد، إذ جلالة السيد ماجد البحراني بمشيخته للسيد هاشم تمنعه عن التدليس في روايته عن الشيخ حسن صاحب المعالم، ولكن ما يقرب كونه السيد ماجد البحراني الراوي عن صاحب المعالم هي قرينة المشيخة المشار إليها في السند.

ويبقى القاسم بن يحيى الجلاء الكوفي والظاهر هو القاسم بن يحيى الراشدي وليس غيره، وقد ضعفه العلامة وتوقف صاحب معين النبيه في بيان رجال من لا يحضره الفقيه في هذا التضعيف حيث لا يعلم مأخذه فقال: (لكن ضعفه العلامة وتبعه ابن داود، ولا نعلم مأخذه،

حديث الكساء

روي عن الصديقة فاطمة (عليها السلام) أنها قالت: دخل علي أبي رسول الله في بعض الأيام فقال: السلام عليك يا فاطمة. فقلت: عليك السلام. قال: إني أجد في بدني ضعفا. فقلت له: أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف، فقال: يا فاطمة! إيتيني بالكساء اليماني فغطيني به. فأتيته بالكساء اليماني فغطيته به، وصرت أنظر إليه وإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه وكماله.

فما كانت إلا ساعة، وإذا بولدي الحسن قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه. فقلت: وعليك السلام يا قرة عيني، وثمرة فؤادي. فقال: يا أماه، إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقلت: نعم، إن جدك تحت الكساء، فأقبل الحسن نحو الكساء، وقال: السلام عليك يا جداه، يا رسول الله، أتأذن لي أن أدخل معك تحت الكساء؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي، ويا صاحب حوضي. قد أذنت لك.

فالإصغاء إليه بمجرده مشكل، مع أنه من أهل الكتب وذي التصانيف، واعتماد المعتبرين محنة إبراهيم بن هاشم وأحمد بن محمد بن عيسى)[٢].

والظاهر أن مأخذ العلامة في التضعيف هو ابن الغضائري، إلا أن المولى الوحيد البهبهاني تأمل في ضعفه حيث أشار إلى ما في الخلاصة للعلامة بقوله: (إن هذا كلام ابن الغضائري ولا وثوق به، ورواية الأجل سيما مثل أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى عنه تشير إلى الاعتماد عليه بل والوثاقة، وكثرة رواياته والإفتاء بمضمونها يؤيده، ويؤيد فساد كلام ابن الغضائري وعدم تضعيف شيخ من المشايخ العظام الماهرين بأحوال الرجال إياه وعدم طعن من أحد ممن ذكره في مقام ذكره في ترجمته وترجمة جده وغيرهما، والعلامة تبع ابن الغضائري بناءً على جواز عثوره على ما لم يعثروا عليه وفيه ما فيه)[٣].

ووافقه العلامة المامقاني بقوله بعد نقله لكلام الوحيد البهبهاني رحمه الله: (وأقول: أن سكوت النجاشي وغيره عن تضعيفه مع كثرة خطأ ابن الغضائري في التضعيفات والرمي بالغلو مع عدم بناء العلامة في الخلاصة على التدقيق وإمعان النظر ربما يثبطنا عن الإذعان بضعف الرجل ويرغبنا في عدة من الحسان لكفاية كثرة رواياته ونحوها مما ذكره الوحيد رضوان الله عليه في ذلك، بعد استفادة كونه أمامياً من عدم غمز النجاشي والشيخ في مذهبه بوجه...)[٤].

وقد أحسن العلامة المامقاني في اختيار الرجل من الحسان، وهو أوفق بحال الرجل ومن روي عنه، والأمر فيه سهل إذا رأينا سلسلة فطاحل العلماء في سند الحديث معتمدين على ما أورد في السند. وسيكون على هذا النحو من التوجيه سند الحديث حسناً مقبولاً، والسند هكذا.

رأيت[٥] بخط الشيخ الجليل السيد هاشم عن شيخه السيد ماجد البحراني عن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني عن شيخه المقدس الأردبيلي عن شيخه علي بن عبد العالي الكركي عن الشيخ علي بن هلال الجزائري عن الشيخ أحمد بن فهد الحلي عن الشيخ علي بن الخازن الحائري عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول عن أبيه عن فخر المحققين عن شيخه العلامة الحلي عن شيخه المحقق عن شيخه ابن نما الحلي عن شيخه محمد بن إدريس الحلي عن ابن حمزة الطوسي صاحب ثاقب المناقب عن شيخه الجليل الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي عن الشيخ الجليل محمد بن شهرآشوب عن الطبرسي صاحب الاحتجاج عن أبيه شيخ الطائفة (هكذا ورد في نسخة عوالم العلوم وهو بعيد ولكن في نسخة إحقاق الحق ورد هكذا: عن الطبرسي صاحب الاحتجاج عن شيخه الجليل الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي عن أبيه شيخ الطائفة الحقة، هكذا ورد في نسخة الإحقاق وهو الأوفق) عن شيخه المفيد عن شيخه ابن قولويه القمي عن شيخه الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم ابن هاشم عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي عن أبي بصير عن أبان بن تغلب البكري عن جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله[٦].

هذا هو سند الحديث، وسلسلة أساطين علماء الإمامية يغنينا عن البحث في سنده بل يدفعنا للبخوع بصحته والتسليم له بكل اطمئنان.

نقلة حديث الكساء

لم يقتصر نقل الحديث على ما أوردناه - أي نسخة العوالم فقط - بل ذكر السيد المرعشي في إحقاق الحق نقله الحديث وعدهم وسنورد بعضهم:

أولا: العلامة فخر الدين الطريحي صاحب مجمع البحرين في كتاب المنتخب الكبير وقال: ولا فرق بينه وبين المنقول عن العوالم إلا زيادة أجوبة التسليمات وجملة قوله ﷺ: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي الخ.

العلامة الجليل الديلمي صاحب الإرشاد في كتابه الغرر والدرر وقد أورد نصف هذا الخبر.

ثالثاً: الحسين العلوي الدمشقي الحنفي من أسرة نقباء الشام قال السيد: وقد رأيته بخطه.

رابعاً: العالم الجليل الحجة الشيخ محمد جواد الرازي الكني في كتابه نور الآفاق وقد نقل المتن المنقول من المرحوم البافقي وقال ما لفظه: وسمعت عن شيخي الثقة الحاج الشيخ محمد حسين السيستاني في سند هذا الحديث الشريف قال: سمعت عن السيد مرتضى اليزدي قال: روى صاحب العوالم إلى آخر السند الذي نقلناه - على حد قول السيد المرعشي رحمه الله[٧] - وهكذا لم يقتصر الحديث على مورد واحد بل على موارد عدة أمكن الوقوف على بعضها.

قصة الحديث

ينطلق حديث الكساء من الحبكة القصصية التي تصوغ مشهد الاجتماع المقدس

فدخل معه تحت الكساء.

فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسين (عليه السلام) قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه! فقلت: وعليك السلام يا ولدي، ويا قرة عيني، وثمرة فؤادي. فقال لي: يا أماه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله، فقلت: نعم إن جدك وأخاك تحت الكساء. فدنا الحسين نحو الكساء، وقال: السلام عليك يا جداه، السلام عليك يا من اختاره الله. أتأذن لي أن أكون معكما تحت الكساء؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي، وشافع أمتي. قد أذنت لك. فدخل معهما تحت الكساء.

فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله. فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن، ويا أمير المؤمنين. فقال: يا فاطمة، إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول الله. فقلت: نعم، ها هو مع ولديك تحت الكساء، فأقبل علي نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله. أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟

الذي روته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وكيفية اجتماع أهل البيت واحداً بعد واحد مصورة بذلك هذه المشاهد المقدسة التي تأخذ بالقارئ والسامع بعيداً إلى حيث الاهتمام النبوي بأهل بيته عليهم السلام، فضلاً عن احتفاء السماء بهذا الاجتماع المقدس الذي حاز على اهتمام الملائكة المقربين بعدما استجاب الله تعالى دعاء النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته، وقوله تعالى بياناً لفضل هذا الجمع القدسي أن كل ما خلقه من سماء مبنية وأرض مدحية وقمر منير وشمس مضيئة وفلك يدور وبحر يجري وفلك يسيري لأجل هؤلاء المجتمعين تحت الكساء، ثم استوضح ذلك جبرئيل من هم؟!.

فقال تعالى: هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها. وهكذا ينتهي المشهد بهبوط جبرئيل ليخبر النبي صلى الله عليه وآله أن الله قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

لماذا لم يروَ هذا الحديث ويتداول؟!

أن ما يميز هذا الحديث كونه أختص بالملأ الأعلى، وعالم الملكوت هو الشاهد لهذه الحادثة دون غيره من العالمين، فالواقعة وأن حدثت فصولها في الأرض إلا أن عالم الملكوت هو المحتفي بهذه الواقعة، فالخطاب موجّه إلى العالم العلوي دون غيره بخطابه تعالى: (يا ملائكتي ويا سكان سماواتي) وليس الخطاب لأهل الأرض وهذا من أعظم خصوصيات حديث الكساء، إذ لم يحضر أحد من العالمين لينقل الخبر وجريان الواقعة بقدر ما تكفل بنقل هذه المشاهد الأمين جبرئيل عليه السلام وليكون هو الراوي وحده لهذه الحادثة في عالم الملكوت، من هنا نجد عدم تداول حديث الكساء على ألسن الرواة عدا ما اختصت به السيدة فاطمة عليها السلام راوياً عنها جابر بن عبد الله الأنصاري تفاصيل الخبر ومجريات الحديث، في حين سنجد الحادثة تشهدها السيدة أم سلمة وتنقل وقائعها وكذلك عائشة إلا أنهم ادعوا أنها نزلت في بيتها أشارة إلى أن الآية نزلت بها وهو خلاف متواتر المشهور في حادثة نزول الآية، وسنأتي إلى الإشارة في بعض ذلك.

تعدد الحادثة أم وحدتها؟

أثبت المحدثون بروايتهم لسبب نزول آية التطهير تواتر حديث الكساء، إذ لم

يختلف على ذلك اثنان، نعم الاختلاف من حيث التوسع في مفهوم أهل البيت، فبعضهم أدخل أزواجه وآخرون توسعوا حتى شملوا عصبته ﷺ من عمومته وأبنائهم ولكل ذلك دوافعه التي لا تخفى، لكن الذي يهمنا في المقام أن الحادثة قد تعددت وقائعها، أي هي لم تكن واقعة واحدة وإنما كانت هذه الحادثة تشير إلى تعدد الوقوع كما يستفاد ذلك من الأخبار الصحاح ويمكن تقسيم الحادثة بحسب وقوعها زمناً كما يلي:

أولاً: الجهد التحضيري للواقعة:

سعى النبي ﷺ أن يحضر لهذه الواقعة قبل حدوثها تهيئة لأذهان الأمة في استقبال الحادثة واستئناساً لنفوسها ولئلا يكثر اللغط والتساؤل في من هم أهل البيت، فأراد صلوات الله عليه أن يحصر هذا المفهوم المقدس بتلك المجموعة المقدسة، أي البيت الفاطمي دون غيره، ومع كل هذا التحضير والاستعداد الكبير فإن نزول الآية واجهه البعض بإدخال غير البيت الفاطمي في حادثة التطهير، إلا أن ذلك لا يضر في أصل القضية فقد أخرج الحاكم عن نقيع بن الحارث عن أبي الحمراء خادم رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يجئ عند كل صلاة فجر فيأخذ بعضادة هذا الباب ثم يقول: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته فيردون عليه من البيت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيقول: الصلاة رحمكم الله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال: فقلت: يا أبا الحمراء من كان في البيت؟ قال: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

إلا أن أبا الحمراء حدد ذلك بستة أشهر فقال في رواية له عن أبي داود السبيعي عن أبي الحمراء قال: كان النبي ﷺ يمر ببيت فاطمة

قال له: وعليك السلام يا أخي، ويا وصيي وخليفتي، وصاحب لوائي. قد أذنت لك. فدخل علي تحت الكساء.

ثم أتيت نحو الكساء وقلت: السلام عليك يا أبتاه، يا رسول الله. أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال: وعليك السلام يا بنتي ويا بضعتي. قد أذنت لك، فدخلت تحت الكساء. فلما اكتملنا جميعاً تحت الكساء أخذ أبي رسول الله بطرفي الكساء وأومأ بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي حامتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحب لمن أحبهم، إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقال الله عزوجل: يا ملائكتي، ويا سكان سماواتي، إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة،

ستة أشهر فيقول: الصلاة (إنما يريد الله) الآية.

ولعل أبي الحمراء أقام في المدينة هذه المدة من الستة أشهر أو كانت مشاهداته لها ستة أشهر ولا يعني أن ذلك الزمن الحقيقي للحادثة، بل تجاوز أبو الحمراء في أحدى رواياته الأكثر من ذلك حتى روى الطبري بلفظ القاضي هكذا:

رابطت المدينة سبعة عشر شهراً على عهد رسول الله إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة فقال: الصلاة الصلاة (إنما يريد الله) الأية.

كان الجهد التحضيري أكثر من سنتين:

ولعلنا نستفيد من رواية أخرى أن وقوف النبيﷺ أكثر من المدة التي رواها أبو الحمراء سبعة عشر شهراً، فرواية أبو الحمراء تشير إلى أن المدة المذكورة كانت بعد ولادة الحسن والحسين عليهما السلام، لكن أنس روى أن رسول اللهﷺ كان يقف على باب فاطمة بعد زواجها من علي لمدة ستة أشهر، فإذا أضفنا مدة رواية أنس الستة أشهر إلى رواية أبي الحمراء السبعة عشر شهراً كانت مدة وقوفهﷺ بحدود السنتين وهي مدة أكثر من الكافية لتأهيل ذهنية المسلمين على نزول آية التطهير، ومن المؤسف أن هذا الجهد النبوي العظيم يقابل بتشكيك بعضهم وتساؤلات آخرين وإصرار جماعة من كون أهل البيت هم أهله وأزواجه وعصبته، وهو أمرٌ يثير التساؤل عن دوافع هذا التشويش للمقصود النبوي إلا أننا نعود فنقول: إن دوافع السياسة والتحزبات إبان الفتن كان لها أثرها في محاولات تغيير مسارات القصود النبوية، إلا أن الأهم تبقى القصود النبوية جلية بجلاء حقيقتها.

ثانياً: تكرار وقوع الحادثة فعلاً.

اتخذت واقعة الكساء أهمية كبرى من قبل المسلمين وكان لحضور أكثر الصحابة في الوقائع المتعددة أمراً دفع بهم إلى تسجيل مشاهداتهم بشكل سجّل للواقعة حضورها في أذهان أكثر الصحابة، بل كانت الحادثة من ضمن جهود النبيﷺ في تبليغه لمقامات أهل البيت بشكل حاضرٍ وملموس، لذا فإننا لو استقصينا الحادثة برواتها لوجدناها تشير إلى شيء لم يدركه حتى الشاهد لهذه الواقعة.

الرحمة الهابطة

روى الحاكم بسنده عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال: لما نظر رسول اللهﷺ إلى الرحمة الهابطة قال: أدعوا لي أدعوا لي فقالت زينب (المقصود منها أم سلمة) من يا رسول الله؟ قال: علي وفاطمة والحسن والحسين فجاء بهم فألقى عليهم النبيﷺ كساءً له ثم رفع يده فقال: اللهم إن هؤلاء آلي فصلّ على محمد وعلى آل محمد وأنزل الله (إنما يريد الله) الآية.

والتعبير بالرحمة الهابطة لا يرقى إلى فهمنا فضلاً عن فهم الراوي، ولا يمكن أن نقف على مفهوم واضح لهذه الرحمة الهابطة بقدر ما هي أشاراتٌ إلى الفيض الربوي الذي تجلل به الجمع المقدس من أهل البيت عليهم السلام ومثله النبيﷺ بالتجلل بالكساء،

ولعل أدراك المشاهد من الرواة والسامع كذلك لا يستطيع أن يستوعب هذا الفيض الإلهي إلا بواقعه المادي الذي مثله كساء النبي صلى الله عليه وآله فلما جللهم بردائه القدسي تجلت لنا حقيقة الفيض الربوي وكيف يجلل المصطفين الأبرار بفيض رحمته.

لماذا أم سلمة؟!

المتابع لحديث الكساء أو نزول آية التطهير سيجد اسم أم سلمة شاخصاً في أكثر الروايات، ولعل رواية السيدة أم سلمة احتلت المساحة الأوسع من نقل الحادثة، علماً أن أم سلمة لم تتفرد في نقل الواقعة بل هي أحدى الراويات لما حدث من هذه المشاهدة النبوية المقدسة، وكأن المتابع يبدو له في الوهلة الأولى أن الرواية اختصت بها أم سلمة، في حين سيجد غير أم سلمة من أزواج النبي حضرتها، نعم كانت أم سلمة وحدها في مشاهدتها الحادثة. بل ولعل خصوصية رواية أم سلمة أنها تعددت الحادثة بحضورها وتكفلت بنقل مشاهد الحادثة بكل أمانة وصدق، فضلاً عن كون أم سلمة أخذت تكرار روايتها لهذه الحادثة بعد رحيل النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم إلى الرفيق الأعلى، فوجدت أم سلمة أن التكليف يقتضي الإصرار على تداول الرواية في كثير من مجالسها لتكون الشاهدة الأولى على وقائع مجريات آية التطهير، فقد تعهدت رضوان الله عليها على أن تتصدى لأية محاولة من شأنها إقحام غير أهل البيت عليهم السلام، فكان موقفها مسؤولاً يقطع الطريق على محاولات التشويه للحادثة الربانية التي تعهدت في بيان بعض مقاماتهم عليهم السلام.

فمما بذلته السيدة أم سلمة تصديها لبيان

ولا فلكاً يدورً، ولا بحراً يجري، ولا فلكاً يسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء.

فقال الأمين جبرائيل: يا رب، ومن تحت الكساء؟ فقال عزوجل: هم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها. فقال جبرائيل: يا رب أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً؟ فقال الله: نعم قد أذنت لك. فهبط الأمين جبرائيل وقال: السلام عليك يا رسول الله، العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزتي جلالي إني ما خلقت سماءً مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلكاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلكاً يسري إلا لأجلكم ومحبتكم، وقد أذن لي أن أدخل معكم، فهل تأذن لي يا رسول الله؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وعليك السلام يا أمين وحي الله. نعم قد أذنت لك. فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء، فقال لأبي: إن الله قد أوحى إليكم يقول: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

الحقائق حين يسألها أحدهم عن كون آية التطهير نزلت في حق أزواج النبي؟ كما في الرواية التالية:

عن عبد الواحد بن عمر قال: أتيت شهر بن حوشب فقلت: أني سمعت حديثاً يروى عنك فأحببت أن أسمعه منك فقال: أين أخي وما ذاك؟ فقد حدث عني ما لم أحدث به قلت: هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت - وهي قراءة عبد الله هكذا - ويطهركم تطهيرا) قال: نعم أتيت أم سلمة زوج النبي فقلت لها: يا أم المؤمنين أن أناساً من قبلنا قد قالوا في هذه الآية أشياء قالت وما هي؟ قلت ذكروا هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فقال بعضهم: في شأنه وقال بعضهم: في أهل بيته.

قالت: يا شهر بن حوشب والله لقد نزلت هذه الآية في بيتي هذا، وفي مسجدي هذا، أقبل النبيﷺ ذات يوم حتى جلس معي في مسجدي هذا، على مصلاي هذا، فيينا هو كذلك إذ أقبلت فاطمة معها خبر لها (كذا) ومعها أبناها الحسن والحسين تمشي بينهما فوضعت طعاماً قدّام النبي فقال لها النبي: أين بعلك يا فاطمة؟ قالت: بالأثر يا رسول الله يأتي الآن، فلم يلبث أن جاء علي فجلس معهم إذ أحس النبي بالروح، فسلّ مصلاي هذا من تحتي فتجافيت له عنها حتى سلّه فإذا عباءة قطوانية فجلل بها رؤوسهم فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي قد اجتمعوا (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قالها ثلاثاً قلت: يا رسول الله أدخل رأسي معكم؟ قال: يا أم سلمة: إنك على خير...

إلى آخر الحديث الذي اختصره الحاكم وقال: والحديث اختصره من طول.

وهنا أكدت أم سلمة أنها - وهي إحدى أزواجهﷺ - لكنها غير مشمولة بمقام التشريف الذي اقتصر على أهل البيتعليهم السلام تصديقاً للآية الشريفة التي أفادت الحصر بأداتها (إنما)، بل في رواية أبي سعيد قال: حدثتني أم سلمة أن هذه الآية نزلت في بيتها (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، قالت: وفي البيت رسول اللهﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين، قالت: وأنا جالسة على الباب، فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: إنك إلى خير، إنك من أزواج النبي.

إذ أكدت أم سلمة أنها من أزواجه أي ليست من أهل بيته، وهكذا كانت السيدة أم سلمة أمينة في مشاهداتها وفي دفاعها عن حومة الواقعة المقدسة وحياض الحدث النبوي، وهو الذي أهلها لأن تضطلع بمسؤولية الشهادة لمرات تكررت ولحوادث تعددت.

إذن فحديث الكساء اليماني هو إحدى وقائع أسباب نزول الآية الكريمة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) إذ من المعلوم أن الآيات القرآنية متعددة في أسباب النزول، أي يمكن أن تكون للآية الواحدة أحياناً مناسبات عدة في أسباب النزول ويتكرر نزولها بتكرر المناسبة، ويبدو أن تعدد أغراض الآية تقتضي تعدد أسباب النزول بل تعدد النزول بمقتضى أسبابه وهكذا، ومن ذلك آية التطهير، فإننا نستوحي من تعدد الروايات الصحاح تعدد الحادثة فمرات عدة

كان نزول الآية في بيت أم سلمة، وأخرى أمام عائشة وبعضها في غير هذه الموارد، وليكن حديث الكساء اليماني إحدى موارد نزول آية التطهير إلا أن خصوصيات هذا الحديث امتاز بالآتي:

أولاً: أن الشاهد على هذه الحادثة لم يكن أخذ من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله ولا حتى أزواجه، بل كانت الحادثة مختصة بالملأ الأعلى إذ تطلع على هذا الاجتماع ملائكة السماء، أي الملأ العلوي بما فيه ملائكة اللّه المقربين، وكان لهبوط جبرئيل إلى الأرض ودخوله بعد الاستئذان معهم تحت الكساء خصوصيته كذلك، وأن كان في بعض الروايات أن جبرئيل وميكائيل وإسرافيل هبطوا إلى الأرض والظاهر أن ذلك إحدى حوادث نزول الآية المباركة.

ثانياً: أن الراوي لهذا الحديث الشريف هي فاطمة عليها السلام، وكانت المشاهدات التي ترويها عليها السلام تضفي لوناً آخر من ألوان العذوبة في الرواية بل تضفي قدسية فوق قدسية الحديث.

هذا هو حديث الكساء اليماني الذي رواه جابر عن سيدة النساء فاطمة عليها السلام ■

---

(١) عوالم العلوم للشيخ عبد اللّه البحراني والعبارة مأخوذة من مستدركات العوالم للسيد محمد باقر الأبطحي محقق الكتاب ومستدرك: ٦٣٨.

(٢) معين البنية في بيان رجال من لا يحضره الفقيه للشيخ ياسين البلادي البحراني: ٢٤٦.

(٣) تنقيح المقال في باب القاسم.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الكلام للشيخ عبد اللّه البحراني صاحب عوالم العلوم، هو الذي رأى الحديث ونقله بهذا السند وهي من رسالة الشيخ محمد تقي بن محمد باقر اليزدي البافقي.

(٦) السند الذي أورده الأبطي في عوالم العلوم عن نسخة البافقي.

(٧) إحقاق الحق ٢: ٥٥٨.

البيت ويطهركم تطهيراً).

فقال علي (عليه السلام) لأبي: يا رسول الله، أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله): والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجياً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة، واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا.

فقال علي (عليه السلام): إذن والله فزنا وفاز شيعتنا وربّ الكعبة. فقال أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض، وفيه جمع من شيعتنا محبينا وفيهم مهموم إلا وفرج الله همه، ولا مغموم إلا وكشف الله غمه، ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته.

فقال علي (عليه السلام): إذن والله فزنا وسعدنا، وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة، وربّ الكعبة ■

وقفة مع مصيبة الزهراء عليها السلام ..

في قصيدة
الشيخ محمد حسن سميسم

د. حسن الخاقاني •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

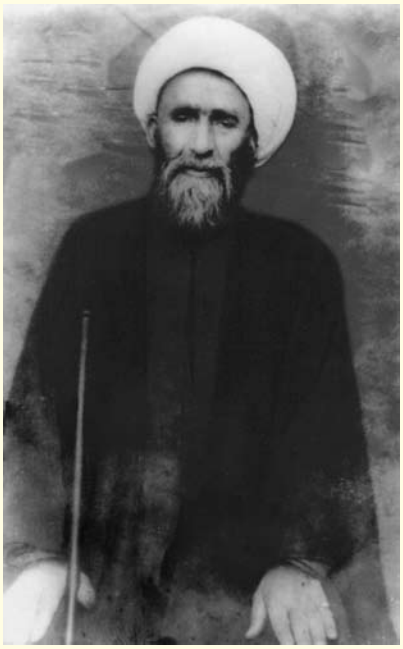

ينابيع

الشاعر: هو الشيخ محمد حسن بن الشيخ هادي بن أحمد بن الحاج محمد بن ملا بري بن سميسم بن خميس بن نصير بن حافظ بن براك اللامي الطائي. شاعر عريق وقد هاجر براك من أراضي العمارة إلى الحويزة عام (١١٢٢هـ) على عهد المولى فرج الله، وفيه تسلسل عنصر بني لام. ومن نسله الزعامة العامة على بني لام وهم يتألفون من آل عبد الشاه بيت جنديل وآل غضبان وآل مزبان وآل عبد الخال وهم آل خميس وهؤلاء يعتبرون من عشيرة واحدة بالنظر لعنصرها الأصلي، ويقطن اليوم أكثرهم

في محافظة العمارة وقد تفرق أفراد عشائرهم في أنحاء العراق لظلم زعمائهم له واستغلالهم إياهم كذا جاء في ديوانه المخطوط.

أما آل سميسم الذين منهم صاحب الترجمة فقد هبطوا النجف من حوالي قرن أو يزيد، وفيها ولد الشيخ محمد حسن عام (١٢٧٦هـ) وقيل (١٢٧٨هـ) ونشأ بها، فترعرع في مدارسها ومجالسها الأدبية يرعاه أبوه، فتخرج على أساتذة قديرين في العلوم التي قررتها برامج الدراسة في النجف من نحو وصرف ومنطق ومعاني وبيان بديع وفلسفة وفقه وأصول منهم السيد علي الشرع، والشيخ محمد طه نجف والشيخ علي رفيش.

وتلقى الأدب، شأنه شأن غيره من أعلام الأدب النجفي من المحافل والأندية التي تثار فيها الحلبات والمساجلات والمناظرات التي تعقد في الأفراح والأتراح فكان يمتاز بذوقه الجمالي وبداوته القوية، وتنوع في نظمه، فطرق أكثر أبواب الشعر وشارك بمدحه ورثائه للأئمة الطاهرين عليهم السلام وديوانه حافل بكثير من ذلك، وكان يمتاز بعقيدته القومية وفتوته العربية، ومن شعره الذي عالج فيه المناسبات رثاؤه الحاج ميرزا حسين آل ميرزا خليل وفيه يمدح أبا الأحرار الشيخ كاظم الخراساني ومطلعها:

شجى من أضلعي اختطف الفؤادا
أهل يوم (الحسين) عليّ عادا

وتطرق في آخرها إلى الوضع الخطير الذي حدث على أثر قلب الاستبداد باستفحال الديمقراطية وقد خاطب بها صاحب الحركة الخراساني.

ذكره جماعة منهم الشيخ جعفر النقدي في كتابه (الروض النضير) ص٢١٤ فقال: (أديب بديع العبارة حسن الأسلوب رقيق الطبع جميل البيان، له في الشعراء آراء لطيفة يتصرف في معانيه التصرفات الغريبة لا يأباها الفكر السليم والذوق المستقيم وله مجموع شعر وقد اشتمل على قصائد ومقاطيع ونتف رقيقة.

توفي في النجف سادس جمادى الأولى من عام (١٣٤٤هـ) وقيل (١٣٤٢هـ) ودفن بها ورثاه فريق من الشعراء.

هذا ما ذكره الأستاذ علي الخاقاني في موسوعته (شعراء الغري أو النجفيات) ج٧ ص٥٠٣-٥١٤، وعليه المعول.

القصيدة

من مبلغ عني الزمان عتابا
ومقرع مني له أبوابا
ومذكر ما راح من عهد الصبا
لو عاد رائق صفوه أو آبا
أيام افترش النعيم أرائكا
وأعبّ بالثغر الأنيق رضابا
وأداعب الظبيات حتى خلتني
من فرط ما أتي به تلعابا
يا ويح دهري راح ينزع للأسى
من بعد ما ذقت النعيم شرابا
دهر تعامى عن هداه كأنه
أصحاب أحمد أشركوا مذ غابا
نكصوا على الأعقاب بعد مماته
سيرون في هذا النكوص عقابا

سـل عنهم القرآن يشـهد فيهم
أو ما رفقـت لضلعها لما انحنى

إن كنـت لم تفقه لـذاك خطابا
كسـراً وعنـه تزجـر الخطابـا

فكأنهـم لم يشـهدوا خمـاً ولا
أو ما درى المسـمار حين أصابها

أحـداً ولا بـدراً ولا الأحزابـا
مـن قلبها قلـب النبـي أصابا

وبخيبـر مـن يرفـل باللـوا
عتبي على الأعتاب فيها محسن

من قـدّ مرحب مـن أزال البابا
ملقـى ومـا انهالت عليـه ترابا

ومـن اشـترى لله نفـس محمد
حتى تواريه لئن لا تسـحق الأقـ

فـي نفسـه لمـا دعـي فأجابا
ـدام منـه أضلعـاً واهابـا

من في الصلاة يرى الصلات فريضة
هـو أول الشـهداء بعـد محمد

مـن نال خاتمه الشـريف جوابا
ويرى المصاب على الصواب صوابا

مـن باب حطة غيـر حيدرة ومن
ما اسـطاع يدفع عـن أبيه وأمه

لمدينـة المختـار كان البابـا
فمضى لأحمد يشتكي الأصحابا

أعجبـت ممن أخـروا مقدامهم
لمـا عـدوا للبيـت عـدوة أمن

بعـد النبـي وقدمـوا الأذنابـا
من ليث غاب حين داسـوا الغابا

قـد أضمروها للوصـي ضغائنا
لو ينظـرون ذباب صـارم حيدر

مـذ دحرجتهـا للنبـي دبابـا
لرأيتهـم يتطايـرون ذبابـا

لينفربوا العضباء في قطب الهدى
لكنهـم علمـوا الوصيـة أنهـا

حتى يعـود الديـن بعـد يبابا
صـارت لصارمه الصقيـل قرابا

نسـبوا لـه هجراً لخـوف كتابة
فهناك جعلـوا النجاد بعنق من

فكأنهـم لا يسـمعون كتابـا
مـدوا لـه يـوم (الغديـر) رقابا

مـا كان ينطـق عن هـواه وإنما
سـحبوه والزهراء تعـدو خلفه

وحـي يحيي لـه النبـي خطابا
والدمـع أجرتـه عليـه سـحابا

يـا باب فاطـم لا طرقت بخيفة
فدعتهم خلوا ابـن عمي حيدرا

ويد الهدى سـدلت عليه حجابا
أو أكشـفن إلـى الدعـاء نقابا

أولسـت أنت بكل آن مهبط الأمـ
حاربتـم البـاري وآل نبيـه

ـلاك فيـك تقبـل الأعتابـا
وعصيتـم الأعـواد والمحرابـا

أوهاً عليك فما استطعت تصدهم
ونكثتـم كثمـود، هـذا صالـح

لما أتـوك بنو الضـلال غضابا
لـم تسـحبون الصالـح الأوابا

نفسـي فداك أما علمت بفاطم
رجعوا إليها بالسـياط ليخمدوا

وقفـت وراك توبـخ الأصحابـا
نـور النبـي السـاطع الثقابـا

فتهافتوا مثل الفراش ونوره
قد صار دونهم لها جلبابا

هذا نص القصيدة بحسب ما أورده السيد محمد علي الحلو في موسوعة أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي ص١٩٤ وما بعدها.

التحليل

تعد قضية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من القضايا الفاصلة في تاريخ الإسلام، إذ كانت نقطة انطلق منها مسار مازال خطه واضحاً في حياة المسلمين، ففي اللحظة التي قبض فيها الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى تبادر الناس سراعاً إلى خلافته، كل يرى لنفسه في ذلك حقاً من دون أهله الذين أوصى بهم النبي صلى الله عليه وآله وإليهم بالأمر من بعده، حتى كأن القوم قد نسوا أو يكادون ما تعاهدوا عليه بمحضر من النبي صلى الله عليه وآله وقبل وفاته بأقل من شهرين حين أعلن الولاية بأمر ربه، لابن عمه وأخيه وخليفته على الناس من بعده علي بن أبي طالب عليه السلام الذي توافدوا عليه مهنئين بالقول: (قد أصبحت للمؤمنين ولياً).

لقد كان تسارع الأحداث لا يكاد يدع مجالاً لالتقاط الأنفاس وترتيب الأفكار فسقيفة بني ساعدة قد ضجت بلغط القوم حتى تصافقوا على بيعة أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة الذي وإن لم تنكر سابقته في الإسلام وبها، من بين أمور أخرى أخذ الخلافة، فإنه قد بدأ عهده بمنع بنت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي ما يزال تراب قبره نديا ميراثها منه على مرأى ومسمع من المهاجرين والأنصار بحديث انفرد به وهو (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)، فحتجت عليه السيدة الصديقة عليها السلام، وهي من مواطن علم رسول الله وحملته، بما نص عليه القرآن الكريم في مواطن كثيرة من توريث الأنبياء وليست فاطمة من محمد إلا كأولئك الذين ورثوا، لكن أبا بكر أبى أن يستجيب لها فحرمها حقها وكانت تلك بادرة خطيرة أشارت من قريب أو من بعيد الى حرمان بعلها وابن عم أبيها علي بن أبي طالب عليه السلام حقه في الخلافة الذي أثبته له القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وآله.

لم تكن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي بنت نبي الأمة من الأغمار الذين يسكتون عن حق مضيع فصدعت بين المهاجرين والأنصار بخطبة عصماء تبين فيها الحجج بالأدلة القاطعة والبراهين الدامغة حتى أنها لم تترك لمتحرز جواباً أو قدرة في الجواب بما أخرستهم به من بلاغتها وقوة فصاحتها وهي تستمد ذلك من لسان أفصح العرب قاطبة أبيها الهادي الرسول محمد صلى الله عليه وآله وما ذلك طمعاً منها في فدك أو سواها، إنما هو لأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر تنفيذاً لتكليفها الشرعي ولإقامة الحجة على القوم وبيان خطل ما أوغلوا فيه من نكران لحقها لأن هذا النكران إنما هو بداية تجر وراءها أخطاراً كبيرة وأهوالاً عظيمة تجري، بل جرت على هذه الأمة تماماً مثلما تنبأت به السيدة الصديقة عليها السلام

في خطبتها في مسجد أبيها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إذ قالت عليها السلام: (ألا وقد قلت الذي قلته على معرفة مني بالخذلان الذي خامر صدوركم واستشعرته قلوبكم ولكن قلته فيضة النفس ونفثة الغيظ وبثة الصدر ومعذرة الحجة فدونكموها فاحتلبوها مدبرة الظهر ناكبة الحق باقية العار موسومة بشنار الأبد موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون).

ثم كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أكثر وضوحاً في قولها لنساء جئن يعدنها وهي في مرضها الأخير إجابة على سؤالهن: كيف أصبحت فقالت من كلام طويل: (أما لعمركهن لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا طلاع العقب دماً عبيطاً وذعافاً مرّاً هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون ثم أطيبوا عن أنفسكم نفساً واطمأنوا للفتنة جأشاً وابشروا بسيف صارم وبقرح شامل واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً فيا حسرة لكم وأنى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم كارهون).

تستمد قصيدة الشيخ محمد حسن سميسم نفسها الرئيس من مواد تلك الخطبة وما وليها من كلام، وتكاد أن تكون تتبعاً في بعض المواقع وما ذاك إلا لأن الشاعر قد تشبع بها، فنحن نعرف أن هذه الخطبة هي إحدى مقررات الحفظ في الدراسة الحوزوية، ولأن الخطبة نفسها تفرض نفسها على الواقع والتاريخ والعلم والفكر لما احتوت من بيان لوجوه الحق ومن تنبؤ بما سيؤول إله أمر الأمة إن هي أقدمت على إنكار حق الزهراء عليها السلام مستندة في ذلك إلى القرآن الكريم وحديث أبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والى علمها وثاقب رأيها الذي يتجاوز ما تصالح عليه القوم وسكنوا إليه.

تبدأ القصيدة في أبياتها الأربعة الأولى بتذكر أيام النعيم وزهرة الصبا كناية عما كان عليه حال الصديقة الطاهرة عليها السلام في ظل أبيها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله فهي استذكار أو استرجاع لتلك الأيام الخوالي التي بدل الدهر لونها بغياب نبي الأمة، وما آل إليه الأمر إلى بعض أصحابه فأنكروا أول ما أنكروا حق ابنته في ميراثها منه فانقلب حال الدهر بانقلاب أهله من النعيم إلى الأسى وهو ما يظهر في البيت الخامس والبيت الذي يليه وهو يصف الدهر وقد تعامى كأنه أولئك الأصحاب أنفسهم الذين باعدوا الخطو عن سبيل القصد بإنكار حق الصديقة الطاهرة عليها السلام وهو وصف أثبته القرآن الكريم واستشهدت به الزهراء عليها السلام في خطبتها وذلك قوله: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) وانقلاب

هؤلاء قد تمثل في الجهتين معاً: إنكار حق فاطمة عليها السلام في وراثتها أبيها كسائر خلق الله الذين أثبت الله حقهم وليس للأنبياء استثناء من ذلك بنص القرآن الصريح في من سلف من أنبيائه، وإنكار حق علي بن أبي طالب عليه السلام وهم يعلمون مكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن الله ومن دينه الذي ما قام إلا بقائم سيفه وقوته في صولته وجلده في المهام الكبرى في حرب المشركين والكافرين والمنافقين، وهذا المقام العظيم هو الذي تكلفت به الأبيات (٩-١٥)، فهي تركز على ذكر بعض من مناقب الإمام عليه السلام التي هي في الوقت نفسه دلائل على استخلاف النبي صلى الله عليه وآله له فهو قد شرى نفسه لله ابتغاء مرضاته وذلك حين مبيته في فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلة هجرته بفديه نفسه، وهو نفس النبي في آية المباهلة، وهو الذي نزل فيه قرآن من الله حين تصدقه بخاتمه في الصلاة وهو الوحيد الذي فعل ذلك لم يفعله أحد من قبل ومن بعد فانحصر مصداق الآية فيه وحده فهو ولي وخليفة لا ينازعه في ذلك منازع ولا يتطاول إلى شأوه متطاول.

وهو في الأحاديث باب حطة، وباب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وسواها من فضائل المنزلة الكبرى التي نالها على عهد الرسول صلى الله عليه وآله في جهاده العتيد في سبيل الله وهو الذي ملأ قلوب الحاسدين غيظاً وقلوب الواترين حقداً، فأخروه وكان حقه التقديم وقدم المتأخر عن رتبته فانقلب الأمر رأساً على عقب وسارت الأمور من سيء إلى أسوأ حتى بلغ الأمر أن تصافحت سيوف المسلمين وتعاقبت الرماح بينهم يشتجرون بها وكل يصيح لا إله إلا الله. فلا حول ولا قوة إلا بالله على ما جرى ومازال يجري بجريرة ذلك الفعل الذي عده أهله صلاحاً وما هو إلا الفساد ولكن لا يشعرون. وعلى هذا ينتهي القسم الأول من القصيدة وهو يثبت في آخره دعوى الهجر التي نسبت إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله متناسين قول الله فيه ليعصمه من هذا وأمثاله (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

يبدأ القسم الثاني من القصيدة بداية جديدة، فبعد أن عرض القسم الأول حيثيات القضية وما رافق المصيبة التي جرت على الزهراء عليها السلام، انتقل عن أسلوب الإخبار إلى أسلوب العتاب والرثاء لما جرى متخذاً من الباب وهو أبرز أدلة الواقعة مخاطباً يتجه إليه النداء والدعاء:

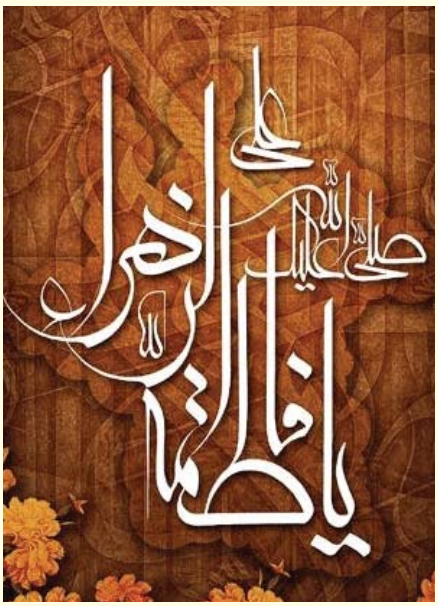

يا باب فاطم لا طرقت بخيفة
ويد الهدى سدلت عليه حجابا

لكن يد الظالمين طرقت هذا الباب، بل دفعته دفعاً عنيفاً، ومن حوله هيأت الحطب إيذاناً بحرقه والدار بمن فيها برغم أن هذا الباب كان مهبط وحي النبي صلى الله عليه وآله في كل يوم ينادي أهله بالآية الكريمة التي نزلت بحقهم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وبرغم أن هذا الباب كان مهبط الوحي على الرسول الكريم صلى الله عليه وآله تقبل الملائكة أعتابه تبركاً واعتزازاً واعترافاً بالمكانة العظمى التي أكرم الله بها أهل هذا البيت المطهر، فيتجه إلى عرض أجزاء من المصيبة بطريق العتاب والندب والرثاء معرجاً على الضلع الشريف الذي انحنى فانكسر لشدة ما أصابه من ضغط سلطة الظالمين عليه، ثم يلتفت الى المسمار الذي أصابها فكأنه أصاب قلب النبي صلى الله عليه وآله حين أصابها، ومنتج عن ذلك من إسقاط المحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن فاطمة الزهراء عليها السلام مجنساً بين العتب والأعتاب التي كانت مكاناً يشهد على واقعة الإسقاط وما رافقها من ألم جسدي ونفسي عظيم ألم بالزهراء البتول عليها السلام وهي ترى وتعاني ما أجرى الظالمون عليها بعد فقدها والدها النبي العظيم صلى الله عليه وآله.

يلتفت الشاعر محمد حسين سميسم لفتة ذكية حين عد المحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أول الشهداء بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله إذ أسقط جنيناً لم يبلغ تمامه بعد، وهو وإن لم يكن قادراً على الدفاع عن نفسه أو أبيه أو أمه فهو شهيد وشاهد على ما جرى عليه وعليهما وعلى الإسلام من ظلم وجرأة وانتهاك لحرمة بيت النبي وآله الكرام صلى الله عليه وآله، وهم ما فعلوا ذلك إلا لأنهم - بحسب رأي الشاعر - قد أمنوا صولة الكرار إذ رأى نفسه مقيداً بوصية النبي صلى الله عليه وآله له بالصبر على ما سيجري عليه، ولكن أنى لهؤلاء أن يعلموا بتلك الوصية التي جعلها الشاعر وأفعالهم للتمادي فيما عملوا، ثم يجاوز ذلك الى رسم مشهد لا أظنه يليق بفارس شجاع مثل علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك بأن جعله يقاد أو يسحب بنجاد سيفه الذي وضع في عنقه فهو يسحب أو يجر أو يقاد ومن خلفه الزهراء عليها السلام تعدو مولولة شاكية، متوسلة أن خلوا عن ابن عمي، مهددة بكشف النقاب للدعاء عليهم، وما أظن هذا المشهد قد جرى في التاريخ حقاً وإنما هو من تخيل المتخيلين، فإن كان كذلك فإنه لا يليق بصورة بطل هزل الشرك كله بقائم سيفه، وهو القائل: لئن اجتمعت عليّ العرب لا أبالي، وهو من شهد له الله ورسوله وملائكته والمؤمنون بشجاعته، وهو المنادى من السماء أن لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار، فكيف بعد هذا وبعد ما أثبت له الشاعر من المناقب والمواقف البطولية في بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها من المشاهد وكيف بعد جندلته الأبطال والمواقف التي لا يضارعه فيها مضارع يقاد أو يسحب أو يجر والحبل في عنقه، إلا رفقاً بعقول الناس أيها الشعراء!.

وقفة فنية

إن نظرة فنية سريعة تظهر النمط

التقليدي الذي يستند إليه الشاعر في نظمه لقصيدته فهو لا يقارب التجديد ولا يتقرب إليه إنما هو يترسم خطى السابقين لا يكاد يحيد عنها ولذلك جاءت قصيدته متابعة خطى التقليد فهي تبدأ بمقدمة جعلها الشاعر تجري بضمير المتكلم الذي يعود ظاهراً عليه ويكني به عن الزهراء عليها السلام وهي لفتة جيدة من الشاعر حين أفرد الأبيات الأربعة الأولى لجعلها استذكاراً لماضي جميل جرت استعادته ليجعل الموازنة واضحة مع الحاضر السيء الذي جره الدهر على الزهراء عليها السلام فيكون الأمر أكثر وضوحاً للمتلقي.

قسم الشاعر قصيدته على قسمين كان الأول منهما لبيان انقلاب الدهر وأهله على بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهله في حين جاء القسم الثاني مستجيباً للغرض الذي من أجله أنشيء النص وهو العتاب والرثاء فاستعمل النداء جاعلاً من الباب رمزاً فنياً ناجحاً بكل ما فيه من مكونات ليستفرغ فيها التعبير عن تفصيلات المصيبة التي كان الباب شاهداً عليها، ثم إن الباب وهو رمز، قد استطاع أن يعبر عن كونه بداية لما جرى على الأمة فيما بعد من مصائب، فكأن مصيبة الزهراء هي الباب الذي فتحه الظالمون من غاصبي حقها ليكون مقدمة لمصائب مازالت متصلة الى اليوم.

أما وزن القصيدة فهو البحر الكامل، وهو البحر الذي استغرق ثلثي شعر الشيعة أو يزيد لما فيه من مطاوعة لعرض الأحزان وبيان الظلم بالرثاء وتقبله إمكان الأنين لما فيه من تموج بالحركات والسكنات فهو أتم البحور حركات وأكثرها إذ يبلغ التام منه ثلاثين حركة وهو قد جاء على هذا الشكل في القصيدة يسنده في ذلك ما أقدم عليه الشاعر من استعمال التدوير في بعض أبياته لاتصال الفكرة وعنف الموجة العاطفية التي تمتد بالشطر ولا تسمح له بالتوقف عند صده.

أما القافية فقد اختار لها الباء روياً وهو حرف انفجاري شديد، ولم يكتف بهذا منه بل زاده ألف الإطلاق بعده ليكون التعبير منفتحاً الى مدى غير محدود وليكون أكثر استجابة للإلتقاء والإنشاد والترنم والترديد وهي من لوازم القصيدة الشيعية ولاسيما المنبرية فيها على أن الشاعر، وبالرغم مما لديه من سعة في استعمال الروي قد وقع في تكرار القافية بعلة تعرف بالإبطاء ولاسيما في كلمة (الباب) لشدة ضغطها عليه.

غير أن الشاعر أيضاً قد أصاب في إخلاصه القصيدة لموضوعها فلم يباعد عنه بالاستطراد فسيطر على موضوعه وأحاط به برغم جوانبه الكثيرة ■

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

وقفة مع الظالمين

المشرف العام ٣٠

قرآنيات

التوجيه الدلالي في آية القربى

م. م. عادل عباس النصراوي ٣٦

إبراهيم بن محمد الثقفي مفسراً

الشيخ حسن الربيعي ٤٤

استطلاع المجلة

مزار كميل بن زياد..

صرح خالد لصاحب الدعاء الخالد

حيدر الجد ٥٢

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مد ظله) ٤٨

واحة الأدب

قصة: يتـــيم

بنـت العـراق ٧٢

قصيدة: سر الوجود

عبد الأمير جمال الدين ٧٤

للفضيلة نجومها

الشيخ محمد بن مكي العاملي.. الشهيد الأول

د. حسين سامي شير علي ٧٦

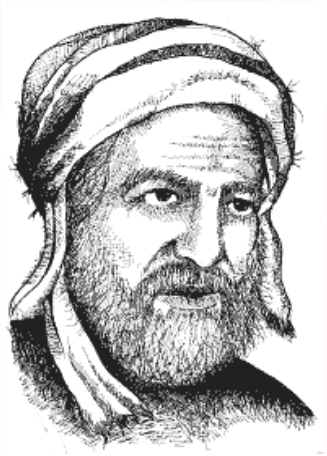

ص٧٦

ص١١٢

ص٨٨

ص ٨١

ص ١٢٢

ص ٣٦

الشيخ سليمان بن ضاهر العاملي.. من رواد الإصلاح

م. م. مجيد حميد الحدراوي ٨١

إضاءات السيرة

السيد محمد بن الإمام الهادي(ع).. سبع الدجيل

علي سعد النجفي ٨٨

في النفس والمجتمع

الشيخوخة وأرذل العمر.. من وجهة نظر طبية

أ. د. يسار الشماع ٩٤

طروحات عامّة

الفكر التكفيري ومشروع النخر الذاتي للأمة

علي عبد الزهرة الفحام ١٠٦

أزمة البلاد من المستفيد منها؟

الشيخ عبد الرزاق الأسدي ١١٢

حيثما تكن المحبة فثم وجه الله

طالب علي الشرقي ١١٨

التجارة الإلكترونية

م. م. علي الفضل ١٢٢

في الذاكرة ٨٦

فهارس مجلة (ينابيع) ١٠٠

أجوبة مسابقة العدد (٢٢) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسابقة العدد (٢٤) ١٢٩

وقفة مع الظالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

تمرّ علينا أيام نستذكر فيها آهات المظلوم في وجه الظالم الذي حرّف المسيرة الإسلامية وبقي عارها إلى يوم القيامة في وجه كذبة الدعاة وسلاطين الضلال، ونحن إذ نستذكر تلك الوقفات المنذرة للانقلاب على الأعقاب نطرز رسالتنا الإسلامية ودعوتنا للهداية والإصلاح بتتويج مجلتنا الغرّاء بخطبة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وهي المعروفة بالخطبة الكبيرة.

روى عبد الله بن الحسن باسناده عن آبائه عليهم السلام انه لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة فدكاً، وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمةٍ من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، فدخلت عليه ـ وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ـ فنيطت دونها مُلاءة، فجلست. ثم أنّت أنةً أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس، ثم أمهلت هنيئة، حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله، والثناء عليه، والصلاة على رسوله أبيها صلى الله عليه وآله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها فقالت:

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما أقدم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغِ آلاءٍ أسداها، وتمام نِعَم

والاها، جمَّ عن الإحصاء عددُها، ونأى عن الجزاء أمَدُها، وتفاوت عن الإدراك أبدُها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بأجزالها. وثنى بالندب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمَّن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاءِ أمثلةٍ امتثلها، كوَّنها بقدرته، وذرأها بمشيئته. من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلّا تثبيتاً لحكمته. وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته. وتعبداً لبريته. وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحِياشَةً لهم إلى جنته، وأشهد أن أبي محمداً عبدُه ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآل الأمور، وإحاطةً بحوادث الدهور، ومعرفةً بمواقع المقدور، ابتعثه الله تعالى إماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأمم فِرَقاً في أديانها، عكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله تعالى بأبي محمد ظلمها، وكشف عن القلوب بُهَمها، وجلى عن الأبصار غُمَمَها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العَماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الصراط المستقيم، ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمد عن تعب هذه الدار في راحة، قد حفّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفّار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه، وأمينه على وحيه وصفيه، وخيرته من الخلق ورضيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت عليها السلام إلى أهل المجلس وقالت:

أنتم عبادُ الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، وزعيم حقّ له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقيّة استخلفها

عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينةٌ بصائره، منكشفةٌ سرائره، متجلية ظواهره، مغتبطٌ به أشياعه، قائدٌ إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوَّرة، وعزائمه المفسِّرة، ومحارمه المحذِّرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورُخَصُه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكِبر، والزكاة تزكيةً للنفس، ونماء في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفُرقة، والجهاد عزّاً للاسلام، وذلاً لأهل الكفر والنفاق، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام مسْنَأَةً في العمر، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنما يخشى الله من عباده العلماء.

ثم قالت عليها السلام:

أيها الناس اعلموا أني فاطمة وأبي محمد أقول عوداً وبدءاً ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم ـ ولنعم المعزيّ إليه ـ فبلغ الرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثيجهم، آخذاً بكظمهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسِّر الأصنام، وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق وانحلت عقدة الكفر والشقاق، وفهتم

بكلمة الإخلاص، في نفر من البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام تشربون الطرق، وتقتاتون القد، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك تعالى بأبي محمد، بعد اللتيا والتي وبعد أن مُني بِبُهَم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن للشياطين، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، وأنتم في بلهنية من العيش، وادعون، فاكهون، آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال، فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفاقاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقط وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون، وهذا كتاب الله بين أظهركم أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تدبرون؟! أم بغيره تحكمون؟! بئس للظالمين بدلاً، ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. ثم لم تلبثوا إلا ريثما تسكن نفرتها، ويساس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء نور الدين الجلي، وإهماد سنن النبي الصفي، تسرون حسواً في ارتغاء وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء

ونصبر منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشى، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي، أفحكم الجاهلية يبغون؟! ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون، أفلا تعلمون؟! بلى قد تجلى لكم ـ كالشمس الضاحية ـ أني ابنته إيهاً أيها المسلمون أأغلب على إرثي؟! يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: وورث سليمان داود، وقال: فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا: إذ يقول: ربّ هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث آل يعقوب. وقال: وأولو الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله. وقال: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين. وقال: إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين. وزعمتم أن لا حظوة لي، ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان. أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

ثمّ رَنَت بطرفها نحو الأنصار فقالت:

يا معشر الفتية، وأعضاد الملة، وحصنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي! والسِّنةُ عن ظلامتي! أما كان رسول الله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده! سرعان ما أحدثتم! وعجلان ذا إهالة ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون: مات محمد فخطب جليل، استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغيبته، واكتأبت خيرة الله لمصيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته. فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى التي لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه

في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم، هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً، ولقبله ما حلت بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين. إيهاً بني قيلة أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع؟! ومنتدى ومجمع؟! تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنَّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البُهَم، فلا نبرح وتبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأيام، وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنى حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان، بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم؟! فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين. ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وركنتم إلى الدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد.

ألا وقد قلت ما قلت، على معرفة مني بالخِذْلة التي خامرتكم، والغِدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، وبثة الصدر، ونفثة الغيظ، وتقدمة الحجة، فدونكموها، فاستقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون ■

المشرف العام

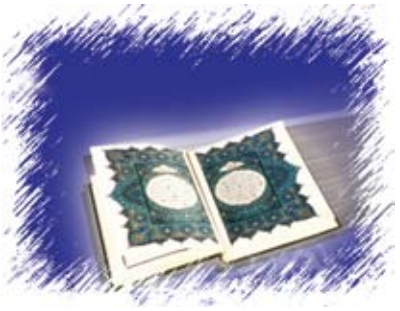

التوجيه الدلالي في آية القربى

م. م. عادل عباس النصراوي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

امتاز البيان القرآني بتوسيع الدلالة وتعددها في مفردات القرآن وجمله، فكان ذلك من دواعي إعجازه للمعارضين من كفار قريش ومقارعته إياهم حتى قيام الساعة.

إن القرآن أعجز العرب وهم أهل الفصاحة والبيان بكل شيء فيه، فهو معجزٌ بألفاظه وجمله وآياته وسوره، وكل مقطع فيه كان موضع انبهار منهم وتعجب لما عرفوا منه.

فمن دلائل إعجازه، توسع دلالة مفرداته وتعددها، وقد تمثل في نواحي عديدة، إذ نرى هذا واضحاً في متشابهه أيما وضوح خلافاً للمحكم. قال السيوطي (ت٩١١هـ): (المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلاّ وجهاً، والمتشابه ما احتمل أوجهاً)[1]، لكن ليس كل الأوجه تكون مقبولة في دلالتها، وذلك أن التأويل لتعدد المعنى وتوسيعه يستوجب ضوابط كثيرة منها حسن تقدير المحذوف، وعدم مخالفة المقدر

للقواعد النحوية المعروفة، وكذلك صحة عَوْد الضمير إلى غيره إن وجد في جملة، والاختلاف في الصيغ بين التذكير والتأنيث والتعريف والتنكير في السياق الواحد، مما يوجب الاهتمام فيها وممارسة الأساليب التي تأتي فيها لتزيد الدارس للنص القرآني قوة مران في معرفة هذه الأسرار لأجل ضبط الدلالة المتوخاة فيه وعدم الانحراف إلى غيرها بسبب من اللبس أو الإيهام عند تعدد معنى اللفظ المطلوب.

فمثلاً يتعين تقدير المحذوف بلفظ معين إذا دلَّ عليه دليل ولم يمنع مانع من تقديره، نحو قوله تعالى: (مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا)[٢]، والتقدير (قالوا: أنزلَ خيراً)، فلم يمنع من تقديره مانع معين من قاعدة نحوية أو غيرها، في حين في قوله سبحانه: (قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)[٣] فلا يصح أن نقول (أنزل أساطير الأولين) بنصب (الأساطير)، لأن الدلالة سوف تتغير بتغيير الوضع الأعرابي للفظة (الأساطير) من الرفع إلى النصب بعد التقدير، فيكون التقدير (هو أساطير الأولين) وكذا حال اختلاف الصيغ في السياق الواحد، فإن من شأنها إضافة معنى جديد غير المعنى المعجمي نحو قوله تعالى: (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا)[٤]، (والقياس أن يقول: (أن يظلهم إضلالاً بعيداً) لأن مصدر (أضلَّ) الإضلال، أما الضلال فهو مصدر (ضلَّ) قال تعالى: (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا)[٥]،

والمعنى أن يضلهم ضلالاً بعيداً وقد جمع المعنيين: الإضلال والضلال في إن واحد)[٦]، وكذا الحال في تعدد عود الضمير في نحو قوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)[٧]، قال السيوطي: (يحتمل عود ضمير الفاعل في (يرفعه) إلى ما عاد عليه ضمير (إليه) وهو الله ويحتمل عوده إلى العمل، والمعنى: أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب، ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب: أي أن الكلم الطيّب - وهو التوحيد - يرفع العمل الصالح، لأنه لا يصحُّ العمل إلاّ مع الإيمان)[٨]، فهكذا تعددت الدلالة بتعدد احتمالات عَوْد الضمير، وكل تقدير من هذه التقديرات يؤدي إلى دلالة مخالفة لما سبقه ويترتب عليه دلالات جديدة.

وكذلك إذا اجتمع في السياق الواحد تذكير وتأنيث فإن الدلالة سوف تتسع، نحو قوله تعالى: (وَمَن يَقْنُتْ منكُنَّ)[٩]، ولم يقل: ومن تقنت منكن، فلو أنث الفعل لحصر الدلالة في النساء المخاطبات، لكنه عندما ذكر الفعل وسع الدلالة لتشمل كل النساء المسلمات.

ونجد الاتساع في الدلالة عند تعدد الاحتمالات في السياق الواحد بين الخبر والإنشاء نحو قوله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ)[١٠]، فهذا السياق يحتمل الخبر بما سيلحق المطففون من عقوبة بسبب تطفيفهم وأن لهم الويل والثبور، ويحتمل أيضاً الدعاء عليهم بالويل لتطفيفهم.

هذه وغيرها من الأساليب التي جاءت في القرآن الكريم التي خالفت أساليب العرب فأعجزتهم عن مجاراته وأوقفتهم عند قصورهم.

لذلك فان دراسة أي نصّ في القرآن الكريم تستلزم منّا معرفة مقدار انزياح دلالات المفردات عن معناها المعجمي عند الاستعمال كي نستطيع منها ومن غيرها أن نتلمّس توجيهاً لدلالتها. وهنا سوف أعرض الدلالات المتوخاة في آية القربى في قوله سبحانه: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)[١١].

إن بيان توجيه دلالات المفردات لابد من معرفة سبب نزولها، فقد (ذُكر أنّ الأنصار جمعت للنبي ﷺ نفقة يستعين بها على ما ينوبه في أصحابه فأتوا بها النبي ﷺ فقالوا: إن الله عز وجل قد هدانا بك وأنت ابن أختنا فاستعن بهذه النفقة على ما ينوبك، فلم يقبلها، وأنزل الله في ذلك: قل لا أسألكم على الرسالة أجراً إلا المودة في قرابتي بكم)[١٢]، وروي أيضاً (أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أترون محمداً يسأل أجراً على ما يتعاطاه؟ فنزلت)[١٣] أي سأل أجراً على أدائه الرسالة وعلى ما بعثه الله به من العمل الصالح - حسب زعمهم -.

إن اختلاف الأخبار في سبب النزول هذا، يؤدي بالنتيجة إلى اختلاف الدلالة وتباينها إتساعاً وتعدداً، وذلك أن عود

الضمير في قوله تعالى: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) فالضمير (الهاء) في (عليه) ربما يعود على أداء الرسالة، كما في سبب النزول العائد إلى كفار قريش، ويكون التقدير (قل لا أسألكم على أداء الرسالة أجراً)، أو قد يعود الضمير على الهداية التي ذكرت في سبب النزول العائد إلى الأنصار، فيكون التقدير (قل لا أسألكم على الهداية أجراً)، وكلا التقديرين قائمان لعدم وجود مانع يمنع من ذلك، ولو أراد سبحانه أحد الأمرين لعيَّن، غير أنه عدَّد احتمالات عدد الضمير لتوسيع الدلالة.

وقبل ذلك أن قوله تعالى: (قل) هو الآخر فيه سعة، وذلك أن ورود هذه اللفظة في آيات كثيرة من القرآن المجيد نحو (قُلْ هُوَ اللّه أَحَدٌ)[١٤] و (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)[١٥]، و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)[١٦]، و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)[١٧]، قد جاءت فيها لفظة (قل) تحمل معاني عدة، منها إن الله تبارك وتعالى يريد من الإنسان أن يعلن عن ضعفه بصراحة، إذ لا يكفي أن يعلن عن حاجته لله فقط، ثم أنه سبحانه أراد من الإنسان أن يدفع عن نفسه الشعور بالكبر والطغيان، والأمر الآخر، إن هذا الإعلان هو من أسباب الطاعة لأن الذي نستعينه لا نخالفه أو نعصيه بل نطيعه.

من ذلك نستنتج أن في دلالة (قل) ليس هو أمراً بالقول فقط، بل إنّه أمرٌ بالعمل أيضاً، وهذا ما ناسب تعدّد دلالة الضمير بتعدد احتمالات العود له.

يعد السيوطي (ت٩١١هـ) هذا من باب العام، الذي هو لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر[١٨] نحو قوله تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ)[١٩]، فهنا قد شمل كل الريب دون استثناء لأي وجه من وجوهه في القرآن الكريم بواسطة تنكير لفظه واستباقه بنفي، مما عدَّد أوجه الدلالة لها في سياقها.

كذلك الحال في (أجراً) لم يحدد نوع الأجر بل عممه ثم نفى وجوده بالإطلاق في الآية المباركة ولم يستثني منه شيئاً بسبب النفي والتنكير، لذا جاء المستثنى بعد (إلا) فيها منقطعاً لعدم وجود علاقة ما بالمستثنى منه (أجراً)، وهذا ما ذهب إليه (ت٢١٥هـ) فقال: (استثناء خارج، يريد والله أعلم - إلا أن أذكُر مودة قرابتي)[٢٠]، والخارج عنده منقطع عما سبقه من المستثنى منه (أجراً)، وذهب هذا المذهب أيضاً أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، وضعَّف القول بكونه استثناء متصلاً بقوله: (إلا المودّة، استثناء منقطع، وقيل هو متصل)[٢١]، فضعف المتصل بسوق الفعل (قيل) بالمبني للمجهول.

وكان الظاهر عند أبي حيان (ت٧٤٥هـ) إنه استثناء منقطع لأن المودة ليست أجراً[٢٢]، فيما ذهب الزمخشري (ت٥٣٨هـ) إلى كونه استثناءً متصلاً، فضلاً عن كونه استثناء منقطعاً، وحسّنَه أبو حيان في ذلك بقوله: (وقال الزمخشري: يجوز أن يكون استثناء متصلاً، أي لا أسألكم عليه أجراً إلا هذا أن تودوا أهل قرابتي، ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة... وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها انتهى، وهو حسن وفيه تكثير)[٢٣].

فيما ذهب آخرون إلى ذكر الإستثنائين دون الإنحياز لأيهما نحو الشيخ الطوسي[٢٤] والطبرسي[٢٥]، لكن الأرجح كما ذكرت أنه إستثناء منقطع، وللاستدلال أكثر على ذلك أن حدَّ الاستدلال المنقطع (هو ما كان فيه المستثنى ليس بعضاً من المستثنى منه)[٢٦] كقوله تعالى: (فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ❖ إِلاَّ إِبْلِيسَ)[٢٧] فإبليس ليس من الملائكة بل هو من الجن، فهذا استثناء منقطع.

فيما يعرف الدكتور فاضل السامرائي المستثنى المتصل بقوله: (المستثنى فيه بعضاً من المستثنى منه، نحو سافر الرجال إلا سعيداً، فسعيد مستثنى متصل لأنه بعض الرجال)[٢٨].

وهذا القول فيه نظر، إذ اختلف أسلوب القرآن عما ذهب إليه الدكتور السامرائي، فقد وردت آيات مباركات فيها المستثنى قدر المستثنى منه نحو قوله تعالى: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى)[٢٩]، (فليست الموتة الأولى بعضاً من الموت، إذ الموت لا يتجزأ فالموتة الأولى هي الموت بالنسبة لكل كائن حي)[٣٠].

وكذلك قد يكون المستثنى أكبر قدراً من المستثنى منه، وقد صرح الفراء (ت٢٠٧هـ) بتجويزه أي استثناء الأكثر من الأقل عند تعرضه لقوله تعالى: (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ)[٣١]، وذلك قوله: (وكأنه قال خالدين فيها مقدار ما كانت السموات وكانت الأرض سوى ما زادهم من الخلود)[٣٢]، وكذلك قوله سبحانه: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)[٣٣] والغاوون أكثر من الراشدين، وقوله تعالى: (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ)[٣٤]، والسافهون أنفسهم أكثر[٣٥].

فهنا قد خالف أسلوب القرآن العرب في هذا الباب، ولو أخذ النحويون قواعدهم من القرآن لكان لهم أسلم، فالقرآن نزل بأفصح لغات العرب وأكثرها بياناً وانساقاً مع طبيعة متكلم اللغة ومستعملها.

إذن الذهاب إلى أن (المودّة في القربى) أستثناء متصلٌ يفتقد إلى أمورٍ كثيرة، فلم تكن المودة من جنس الأجر، وبالتالي فلا هي أقلّ منه ولا أكثر، ولا هي بقدرها، بل جاءت من غير جنس المستثنى منه.

ولو كان الإستثناء متصلاً لكانت المودّة إتباعاً للأجر، وانّ الإتباع بدلٌ حتماً، على أن المستثنى بعض من المستثنى منه[٣٦]. وهذا الغرض غير قائم في الآية، لأن المودة ليست جزءً من الأجر بل هي مختلفة عنه في الجنس والنوع والماهية، ثم إن الإتباع يراد به الإلصاق، أي الصادق المستثنى بالمستثنى منه وتنزيله بمنزلة القريب، وهو غير حاصل هنا أيضاً، فيما يراد

بالنصب على غير الإتباع والبدلية، البعد بين المستثنى والمستثنى منه جنساً أو نوعاً أو غيرهما، أو التبعيد عنه، أي تنزيله بمنزلة البعيد[٣٧]، وهذا هو الحاصل. إذا لم تكن المودة من نوع الأجر أو جنسه ـ كما علمنا من قبل ـ هذا أمر.

أما الأمر الآخر فهو وجود الجار والمجرور (عليه) مقدماً على اللفظة (أجراً) وهذا فيه دلالة أخرى، فلو تقدّم (أجراً) لاختلف المعنى، وعندها يكون عدم السؤال عنه فقط، فيما أن المقصود هو تبيان عظمة ما جاء به الرسولﷺ، ورغم عظمة الرسالة، فإنه كان يرغب عن هذا الأجر الدنيوي المتمثل بالجاه والرياسة أو المال، لأن ما جاء به أعظم وأكبر ما في الوجود، وعليه فإن تأخير الأجر وتقديم الجار والمجرور، قد أوليا الرسالة دوراً عظيماً وكبيراً فيما حقرَ وصغر من قيمة الأجر الذي عرض عليه، ولو عكسنا فأخرنا المقدم وقدمنا المؤخر لاختلف الأمر.

هذا التضعيف والتحقير لقيمة الأجر المعروض على الرسولﷺ مع نفيه على الإطلاق، هذا فيه دلالة أخرى تتمثل في تبيان الفارق الكبير بين الأجر وسؤال المودة في القربى، إذ إنه يبين فيها عظمة السؤال وضآلة العرض، فهما غير متكافئين عند الله تعالى.

وهذا مما يعزز في كون الإستثناء منقطعاً، لعدم الكفاءة بين الطرفين المستثنى والمستثنى منه، وكأن المراد من ذلك تمييز المستثنى من المستثنى منه بكل شيء، فالأخير كان منفياً عندما سبق بـ(لا) النافية وهو نكرة مما أجمل دلالته، فضلاً عن كونه محقراً عندما أخّره وكان حقه التقديم، وهذه كلها ميزات كان قد تمتع بها المستثنى منه، وفجأة يظهر المستثنى على غير المتوقع كي يفاجأ به المخاطبون سواء كانوا من كفار قريش أو الأنصار على حسب الروايتين.

وهذه كلها لإبراز أهمية المستثنى وبيان عظمته فليس هو بالأمر البسيط كما يتوقع وإنما هو مدار اهتمامه تعالى ونبيه الكريمﷺ فقدم كل هذه المقدمات لبيان أهمية ما يدعو له ويريده.

مع كل ذلك فقد اختلف في دلالة (المودة في القربى)، فمنهم من قال: هم عموم قريش، فقد نقل الفراء ذلك عن ابن عباسرضي الله عنه فقال: (في قرابتي من قريش)[٣٨]، وعن الشيخ الطوسي قال: (واختلفوا في معنى (المودة في القربى) فقال علي بن الحسينعليه السلام، قال الحسن: معناه (إلاّ المودة في القربى) إلى الله تعالى والتود وبالعمل الصالح، وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسوي والضحاك وابن زيد وعطاء بن دينار: معناه إلاّ أن تؤدوا لي لقرابتي معكم، وقالوا كل قريش كانت بينه وبين رسول الله قرابة...والأول هو الإختيار عندنا وعليه أصحابنا)[٣٩]، أي أن ذوي القربى هم آل بيت الرسولﷺ خاصة، قال الطبرسي عن أبن عباس: (قال لما نزلت (قل لا أسألكم عليه أجراً) الآية قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم، قال: علي وفاطمة وولدُهما)، ونقل عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام، أيضاً قوله: (إنها نزلت فينا أهل البيت أصحاب

الكساء)[٤٠].

وأشعر أن هنا تخصيصاً للقربى فليس المراد إطلاق عموم القرابة إذ لو أراد ذلك لقال: موّدة القربى، أو المودة للقربى، ليكون الخطاب أعمَّ وأشمل، لكنه تعالى لم يرد ذلك، ولو أراد مودة القربى كاملة فسيدخل فيهم أبا لهب، وهذا قد نزل فيه قرآن أخلده في النار، إذ قال تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ❖ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ❖ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ❖ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ❖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)[٤١]، فإنه لمن التناقض أن يدعو النبيﷺ المودّى لذي القربى وفيهم من هو كافرٌ أو خالدٌ في النار، وهو من آل عبد المطلب، فما بالك في عموم قريش.

إذن هذا لا يتفق مع سياق المعنى الذي أفرزته الآية المباركة فلا يمكن للنبيﷺ أن يدعو إلى مودة الكافر المعاند الخالد في النار على لسان ربٍّ العزة.

عندما انتفت الدلالة عن قرابة قريش وآل عبد المطلب عامة، فما بقي من القرابة إلاّ الخاصة وهم عليٌّ وفاطمة وولدُهما، وهم المقصودون بذلك.

ثم إن وجود حرف الجر (في) الذي يفيد الظرفية مخصص للمعنى ومقيد له، فلو أراد تعالى عموم قريش أو آل عبد المطلب عامة لقال (المودة للقربى)، فهذا أعم وأشمل لأن اللام هنا تفيد الإستحقاق[٤٢]، كأن يقال: (الحمد لله، والعزة لله، وويل للمطففين) وغيرها، أي أن الحمد والعزة من استحقاق الله تعالى، والويل من إستحقاق المطففين.

في حين أن المودّة لا تكون استحقاقاً لعموم قرابة الرسولﷺ لدخول الكفار فيهم، وهو غير مراد الآية المباركة، والأمر الآخر أن عمل (إلا) أصلاً يفيد الحصر نصاً[٤٣]، فعمل السياق على تخصيص القرابة القريبة جداً للرسول الأعظمﷺ بالحرف (في) التي تفيد الظرفية والمصاحبة[٤٤] وبـ(إلا) المخصصة والحاصرة للدلالة، أي أنها مخصوصة في آل بيته الكرام المصاحبين له. والله تعالى أعلم.

اللهم أجعلنا فيمن يودُّ محمداً وآل بيته الكرام أجمعين إلى قيام الساعة أمين يا رب العالمين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين ■

---

(١) الإتقان في علوم القرآن/تأليف الإمام جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة٩١١هـ) ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م/ج٢ ص٣.

(٢) سورة النحل/ الآية ٣٠.

(٣) سورة النحل/ الآية٢٤.

(٤) سورة النساء /الآية٦٠.

(٥) سورة النساء/الآية ١١٦.

(٦) التعبير القرآني/الدكتور فاضل صالح السامرائي - جامعة بغداد - بيت الحكمة - تسلسل التعضيد هـ١ للسنة الدراسية ١٩٨٦م

- ١٩٨٧م: ٣٦.
(٧) سورة فاطر/الآية ١٠.
(٨) الإتقان/السيوطي: ٢ / ٣٦.
(٩) سورة الأحزاب/الآية٣١.
(١٠) سورة المطففين/الآية١.
(١١) سورة الشورى/ الآية ٢٣.
(١٢) معاني القرآن/تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي - مراجعة الأستاذ علي النجدي ناصف - دار السرور: ٣ / ٢٢، ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن - لمؤلفه الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي - تحقيق الحاج هاشم رسولي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ١٣٣٩هـ م ٥/ ٢٩ ظ - تفسير البحر المحيط - تأليف أثير الدين يوسف بن علي أبي حيان الأندلسي - تحقيق د. عبد الرزاق المهدي - دار أحياء التراث العربي ط١ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ٧/ ٦٨٣.
(١٣) تفسير البحر المحيط: ٧/ ٦٨٣.
(١٤) سورة التوحيد/الآية١.
(١٥) سورة الكافرون/الآية١.
(١٦) سورة الفلق/الآية١.
(١٧) سورة الناس/الآية١.
(١٨) الإتقان/السيوطي: ١/ ٣٠.
(١٩) سورة البقرة/الآية ٢.
(٢٠) معاني القرآن/لأبي الحسن بن سعيد بن سعدة الأخفش الأوسط/تحقيق د. هدى محمود قراعة - مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١/١٤١١هـ - ١٩٩٠م: ٢/ ٥١٠.
(٢١) إملاء ما مَنّ به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن/تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٥٣٨-٦١٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان: ٢/ ٢٢٤.
(٢٢) البحر المحيط/أبو حيان الأندلسي: ٧/ ٦٨٣.
(٢٣) م.ن: ٧/ ٦٨٣- ٦٨٤.
(٢٤) تفسير التبيان / لشيخ الطائفة الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ)/تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي - مكتبة الأمين - النجف الأشرف - مطبعة النعمان - ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م : ٩/ ١٥٨.
(٢٥) مجمع البيان/ الطبرسي: م٥/ ٢٨.
(٢٦) معاني النحو/د. فاضل صالح السامرائي - دار الفكر - ط٢ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٣م: ٢/ ٢١٢-٢١٣.
(٢٧) سورة الحجر/الآية ٣٠-٣١.
(٢٨) معاني النحو/د. فاضل السامرائي: ٢/ ٢١٢.
(٢٩) سورة الدخان/الآية ٥٢.
(٣٠) النحويون والقرآن/د.خليل بنيان حسون - مكتبة الرسالة الحديثة - عمان الأردن - ط١- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م : ٧٦.
(٣١) سورة هود/الآية١٠٧.
(٣٢) معاني القرآن/الفراء: ٢/ ٢٨، ظ: النحويون والقرآن/د.خليل بنيان: ٧٦/ ٧٧.
(٣٣) سورة الحجر: ٤٢.
(٣٤) سورة البقرة/الآية ١٣٠.
(٣٥) ظ: النحويون والقرآن/د.خليل بنيان:٧٧.
(٣٦) ظ. معاني النحو/د. فاضل السامرائي: ٢/ ٢٢٣.
(٣٧) م.ن: ٢/ ٢٢٣.
(٣٨) معاني القرآن/الفراء: ٣/ ٢٣.
(٣٩) التبيان/الطوسي: ٩/ ١٥٨-١٥٩، ظ: تفسير القرآن العظيم/أبن كثير: ٤/ ١١١.
(٤٠) مجمع البيان/الطبرسي: م٥/ ٢٨-٢٩، ظ: البحر المحيط/ابو حيان الأندلسي: ٧/ ٦٨٣.
(٤١) سورة المسد.
(٤٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/لجمال الدين بن هشام الأنصاري (المتوفى سنة ٧٦١هـ) - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - حققه وخرج شواهده د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله - راجعه سعيد الأفغاني ط٢ مصححه/١٩٦٩م : ١/ ٢٢٨.
(٤٣) شرح الرضي على الكافية /تأليف محمد بن الحسين الرضي الأستربادي - تصحيح وتعليق يوسف حسن - مؤسسة الصادق للطباعة والنشر - ط٢: ٢/ ٢٢٨.
(٤٤) مغني اللبيب/ابن هشام: ١/ ١٨٢.

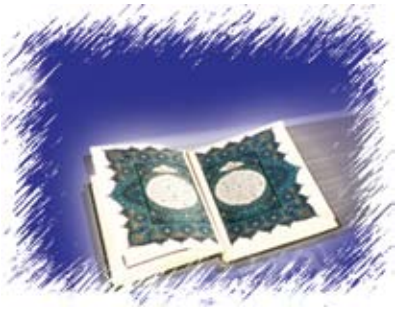

إبراهيم بن محمد الثقفي .. مفسراً

الشيخ حسن الربيعي •
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع من المفسرين المشهورين في القرن الثالث الهجري الثقفي الكوفي الأصفهاني المتوفى سنة ٢٨٣هـ في أصفهان حيث رحل إليها لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام، والثقفي هو إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود[١]، وسعد بن مسعود هو عامل أمير المؤمنين عليه السلام على المدائن[٢] وحامل رايته على قيس وعبس وذبيان في معركة الجمل[٣].

أما جده الأدنى سعيد بن هلال فهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٤].

أشهر ألقابه الثقفي ولكنه لقب بعدة ألقاب منها الكوفي نسبة إلى الكوفة مسقط رأسه ومنها الأصفهاني نسبة إلى أصفهان وهي البلدة التي رحل إليها لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام بعدما وجد معارضة لنشر كتابه المشهور المعرفة في المناقب والمثالب أي مناقب أهل البيت عليهم السلام ومثالب أعدائهم، فرحل إلى أصفهان التي كانت آنذاك ناصبية أي

تنصب العداء لأهل البيت عليهم السلام[٥] وحلف: لا أروي هذا الكتاب إلا بها[٦].

وهذا الإصرار أدى به إلى ترك مدينته والهجرة بكتابه إلى أصفهان، فرحلته إذن لا للتعلم بل لنشر أفكاره التي اعتقدها وآمن بصحتها[٧].

وشهد بأسانيده في كتاب المعرفة أغلب العلماء الذين أطلعوا عليه وقد عبر بعضهم بأنه جاء بأسانيد نيرة[٨] واحتج به على الأقارب والأجانب[٩].

وما ان حل الشيخ الثقفي نزيلاً في أصفهان واستقر به المقام رحلت إليه الوفود ومنها وفد قم برئاسة أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٢٧٤ أو ٢٨٠هـ) وسألوه الانتقال إلى قم لكنه أصر على البقاء في مكانه[١٠] يباهل علماء أصفهان بكتابه المعرفة[١١] وهو كتاب في العقائد فضلاً عن كتبه الأخرى لأنه كان فقيهاً ومؤرخاً ومحدثاً ومفسراً.

عرف في الأوساط العلمية بجرأته وصرامته في قول الحق وهو ظاهر من انتقاله من الكوفة إلى أصفهان وامتناعه من تركها والرحيل عنها إلى قم الموافقة لمذهبه آنذاك مما حدا ببعض العلماء إلى وصفه بأنه: (كان جباراً من مشهوري الإمامية)[١٢].

وثقة العلماء ومنهم ابن النديم (توفي

بعد عام٣٨٥هـ) في كتابه الفهرست بقوله:(من الثقات العلماء المصنفين)[١٣].

وقد روى الثقفي عن أعيان الطبقة العلمية في عصره مثل إسماعيل بن أبان (ت٢١٦هـ) وأبي نعيم الفضل بن دكين(ت٢١٨هـ) وعباد بن يعقوب (ت٢٥٠هـ) وغيرهم[١٤].

مكانته العلمية

وتظهر مكانته العلمية أثر قيامه بتأليف كتابه الشهير المعرفة في المناقب والمثالب الذي أحدث ضجة في الأوساط العلمية في الكوفة آنذاك وكان سبب لخروجه منها وأحداث انقالة في حياته تاريخية أدت به إلى أن يرحل بهذا الكتاب إلى أصفهان بعد ما أشار العلماء بعدم أخراجه في الكوفة[١٥].

ولما استقر في أصفهان كما قلنا رحلت إليه الوفود ومنها وفد قم وسألوه الأنتقال إليها إلا أنه رفض طلبهم وأصر على تبليغ أهل أصفهان ما جاء به[١٦].

ومن عادة القميين الدقة في الراوي ورد الروايات إلا بعد الوثوق بعدالته[١٧] وهذا ما يدل على غاية وثاقته وتصلبه في قول الحق[١٨]، ولذلك رحلت إليه العلماء لتنهل من فيض علمه، فقد نقل عنه البرقي في كتابه المحاسن قسماً من الروايات[١٩].

واعتمد العلماء على رواياته في كتبه ومصنفاته ولاسيما في التاريخ والحديث والتفسير، وممن اعتمد على كتبه ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ) في كتابه شرح نهج البلاغة وعد كتاب الغارات من مصادره المهمة ونقل كذلك عن كتاب المعرفة وأشاد بأسانيده وسماها أسانيد نيرة[٢٠].

وقد ذكرته أغلب كتب التراجم بأنه من العلماء المكثرين في التصنيف ومن علماء التفسير، فقد ذكره الداودي (ت٩٤٥هـ) في طبقات المفسرين[٢١] واعتمد علماء الإمامية على رواياته المختلفة ونقلوها في كتبهم المعتبرة، فقد نقل السيد ابن طاووس (ت٦٦٤هـ) رواياته وأشاد بصلابته وجرأته بقول الحق إذ كاشف أهل أصفهان بما جاء في كتابه المعرفة[٢٢]، ونقل عنه القمي في تفسيره بقوله:(حدثني أبي عن إبراهيم بن محمد الثقفي...)[٢٣] وفيه دلالة على أن التفسير المشهور بتفسير القمي هو للابن لا للأب، وذكره المجلسي (ت١١١٠هـ) بقوله:(له مدائح، ووثقه أبن طاووس، ثقة، أمامي)[٢٤] وعبر عنه بعضهم بقوله:(أبو إسحاق الثقفي، عين، وهو إبراهيم بن محمد بن سعيد)[٢٥].

واعتمده الشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ) في الفقيه وشهد بصحة رواياته[٢٦]، وقال في ترجمته صاحب كتاب روضات الجنات:(الشيخ المحدث

المروج الصالح السديد أبو إسحاق)[٢٧]، وذكره الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) في الفهرست، وقال: (رضي الله عنه)[٢٨]، وعبر عنه بكبير الشيعة[٢٩].

مصنفاته

صنف الشيخ الثقفي في عدة موضوعات ولم يقتصر على التاريخ فقد ألف في الحكم والآداب والتفسير والتاريخ والأحداث والخطب والأخبار[٣٠]، وإن كانت مصنفاته في التاريخ هي الأكثر ويظهر أن الغالب على القدماء الجمع بين الفقه والتاريخ والحديث والتفسير والتراجم ومع الأسف ضاع كل ما كتبه في هذه العلوم ولم يبق إلا كتابه في التاريخ ـ الغارات ـ وهو كتاب مهم في التاريخ تناول أحداثاً مهمة بدأت بعد معركة النهروان إلى شهادة أمير المؤمنين عليه السلام فقد تتبع الغارات التي شنت على أطراف العراق والحجاز واليمن من قبل جند معاوية وأثارت آنذاك الرعب والخوف بين الناس.

وهذا الكتاب هو الوحيد الموجود للشيخ الثقفي وقد طبع عدة طبعات كان أهمها ما حققه العلامة جلال الدين المحدث بمجلدين ضخمين عن مخطوطة في مكتبه ثم عثر على مخطوطة أخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق حققها المرحوم السيد عبد الزهراء الحسيني صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده.

لقد بلغت كتبه أكثر من خمسين كتاباً كلها فقدت إلا كتابه في التاريخ والذي اسمه الغارات.

ونتيجة للبحث والتنقيب المستمر عثرت على رواياته التفسيرية فجمعتها وهي تفسير بالمأثور روائي أي يعتمد الرواية وهو دأب علماء التفسير آنذاك.

تفسير الثقفي

يعد الثقفي(ت٢٨٣هـ) من المفسرين الكبار ومن أعلام القرن الثالث الهجري وله كتاب التفسير، ذكره الداودي(ت٩٤٥هـ) في كتابه طبقات المفسرين[٣١]، وكتابه في التفسير ذكرته أغلب المصادر التاريخية[٣٢].

وهو لم يصل إلينا، ولكن نقل العلماء عنه في كتبهم ولم أجد منهم مصرحاً به إلا نقل روايته وتفسيره للآية الشريفة كما هي عادة مفسري ذلك الوقت أي التفسير بالرواية، فقد نقل عنه القمي في تفسيره رواية فيها رد على من أنكر المعراج[٣٣]، ويبدو أن إبراهيم بن هاشم هو من تلامذة الشيخ الثقفي فقد ورد في التفسير: (حدثني أبي عن إبراهيم بن محمد الثقفي)[٣٤].

وممن أكثر الرواية عن الثقفي في هذا المجال شرف الدين الحسيني(ت٩٤٠هـ) في كتابه تأويل الآيات الظاهرة، فقد نقل أكثر من عشرين رواية في تفسير الآيات القرآنية[٣٥]، وهي برواية أحد تلامذته وهو علي بن عبد الله، وممن نقل عنه ابن شهرآشوب (ت٥٨٨هـ) في كتابه المناقب إذ تفسير الآية: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) (المائدة:٦٧) إنها نزلت يوم الغدير في الإمام

علي عليه السلام[٣٦].

ونقل الصفار(ت٢٩٠هـ) في كتابه بصائر الدرجات أن الثقفي يروي عن كتاب بندار بن عاصم في تفسير الآية: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) (البقرة:١٤٣) قال: هم الأئمة[٣٧] وممن نقل في تفسيره أيضاً زين الدين علي بن يوسف بن جبر أو جبير(ت ق٧هـ) بقوله: (روى إبراهيم الثقفي في كتابه بإسناده)[٣٨] أن للثقفي كتاب التفسير وكتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد جمعت شتات ما تفرق من رواياته في التفسير من كتب عدة أهمها تأويل الآيات الظاهرة لشرف الدين الحسيني وهو كتاب مطبوع فريد في بابه وممن روى تفسيره محمد بن العباس المعروف بابن الحجام أو الحجام فقد قال عنه النجاشي(ت٤٥٠هـ) أنه: (ثقة، ثقة من أصحابنا، عين سديد)[٣٩].

مقتطفات من تفسيره

قال تعالى: (قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى) (طه:١٣٥).

قال محمد بن العباس رحمه الله: حدثنا علي بن عبد الله بن راشد عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن إبراهيم بن محمد بن ميمون عن عبد الكريم بن يعقوب عن جابر قال: سئل محمد بن علي الباقر عليه السلام عن قول الله عز وجل: (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى)، قال: اهتدى إلى ولايتنا.

وقال أيضاً: حدثنا علي بن عبد الله عن إبراهيم بن محمد عن إسماعيل بن بشار عن علي بن جعفر الحضرمي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى) قال عليه السلام: (علي صاحب الصراط السوي، ومن اهتدى أي إلى ولايتنا أهل البيت)[٤٠].

قال تعالى: (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ❖ وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (النمل:٨٩ ـ ٩٠)

محمد بن العباس رحمه الله: حدثنا علي بن عبد الله عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن عبد الله بن جبلة الكناني عن سلام بن أبي حمزة الخراساني عن أبي الجارود عن أبي عبد الله الجدلي، قال: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام ألا أخبرك بالحسنة التي من جاء بها أمن من فزع يوم القيامة والسيئة التي من جاء بها كبَّ على وجهه في نار جهنم؟، قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: الحسنة حبنا أهل البيت والسيئة بغضنا أهل البيت.

وقال أيضاً: حدثنا علي بن عبد الله، عن إبراهيم بن محمد، عن إسماعيل بن بشار، عن علي بن جعفر الحضرمي، عن جابر الجعفي أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: (مَن جَاء بِالْحَسَنَة فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ❖ وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَة فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) قال: الحسنة ولاية علي عليه السلام، والسيئة عداوته وبغضه[41].

قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّه وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّه أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات:١٥).

قال محمد بن العباس: حدثنا علي بن عبد الله عن إبراهيم بن محمد عن حفص بن غياث عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّه وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّه أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)، قال ابن عباس: ذهب علي عليه السلام بشرفها وفضلها[42].

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا...).

في رواية إبراهيم الثقفي وأحمد بن حنبل وابن بطة العكبرى عن عكرمة عن ابن عباس إلا علي رأسها وشريفها وأميرها[43].

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّه وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة:١١٩).

أي كونوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام ذكره الثعلبي في تفسيره عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام وعن الكلبي عن أبي صالح عن أبن عباس وذكره إبراهيم الثقفي عن أبن عباس والسدي وجعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام[44].

قال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّه من فَضْله فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا)(النساء:٥٤).

إبراهيم الثقفي عن عبد الله بن جبلة الكناني عن ذريح المحاربي عن الثمالي عن الصادق عليه السلام: أن بريدة كان غائباً بالشام فقدم، وقد بايع الناس أبا بكر فأتاه في مجلسه، فقال: يا أبا بكر هل نسيت تسليمنا على علي بأمرة المؤمنين واجبة من الله ورسوله.

قال: يا بريدة أنك غبت وشهدنا، وإن الله يحدث الأمر بعد الأمر ولم يكن الله تعالى يجمع لأهل هذا البيت النبوة والملك.

الثقفي والسري بن عبد الله

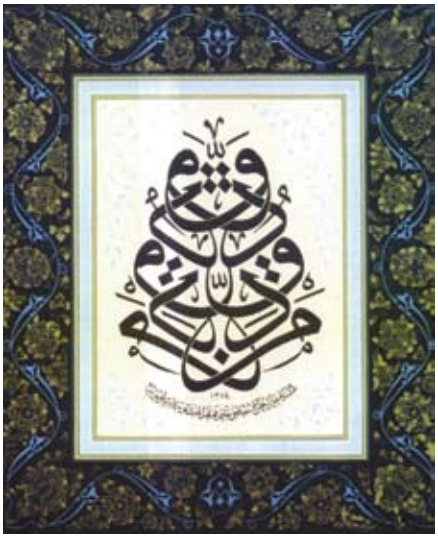

بإسنادهما: أن عمران بن الحصين وأبا بريدة قالا: لأبي بكر: قد كنت أنت يومئذ فيمن سلم على علي بأمرة المؤمنين فهل تذكر ذلك اليوم أم نسيته؟.

قال: بل أذكره، فقال بريده: فهل ينبغي لأحد من المسلمين أن يتأمر على أمير المؤمنين، فقال عمر: أن النبوة والإمامة لا تجتمع في بيت واحد.

فقال له بريده: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّه مِن فَضْلِه فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا)، فقد جمع الله لهم النبوة والملك(٤٥).

قال تعالى: (وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ❖ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ)(الواقعة:٩٠-٩١).

محمد بن العباس: حدثنا علي بن عبد الله عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن محمد بن عمران عن عاصم بن حميد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: (وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ❖ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) قال: أبو جعفر: هم شيعتنا ومحبونا(٤٦).

هذا جزء بسيط من تفسير الثقفي بالرواية وهي تمثل بدايات مرحلة مهمة تطور بعدها التفسير إلى عدة أنواع حتى وصلت ما وصلت إليه اليوم.

وتأتي أهمية تفسير الثقفي أنه كتاب مفقود إلا في بطون الكتب وهو يمثل مرحلة من مراحل الكتابة في القرن الثالث الهجري، ونحن مدعوّون لأحياء التراث الشيعي الإمامي بالبحوث والدراسات وذلك لتغيّبه بصورة عمدية عن الساحة العلمية ■

---

(١) النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي، رجال النجاشي، (طهران: مطبعة مصطفوي، بلا)، ص١٢.
(٢) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، (قم: شريعت، بلا)، ص٢٠٥.
(٣) المصدر السابق، ص١٤٦.
(٤) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، رجال الطوسي، (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٦١م)، ص٢٠٥.
(٥) النجاشي، الرجال، ص١٣.
(٦) ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى، اليقين في إمرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٥٠م)، ص٣٨.
(٧) النجاشي، الرجال، ص١٣.
(٨) ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧م)، ج١٦، ص٢٨٢.
(٩) ابن طاووس، اليقين، ص٤٥.
(١٠) النجاشي، الرجال، ص١٣.
(١١) ابن طاووس، اليقين، ص٤٥.
(١٢) الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، (مصر:

مطبعة هندية بالموسكي، ١٩٢٣هـ)، ج١، ص٢٩٤.
(١٣) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق، الفهرست، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨م)، ص٣١٣.
(١٤) ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، (حيدر آباد الدكن، ١٣٢٩هـ)، ج١، ص١٠٢.
(١٥) النجاشي، الرجال، ص١٣.
(١٦) المصدر السابق، ص١٣.
(١٧) المامقاني، عبد الله بن محمد حسن، تنقيح المقال في أحوال الرجال، (النجف الأشرف: المطبعة المرتضوية، ١٣٥٠هـ)، ج١، ص٣١.
(١٨) المصدر السابق، ج١، ص٣١.
(١٩) البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمد، المحاسن، (طهران: جاب، ١٣٢٦هـ)، ج١، ص٢٨٤، ج٢، ص٤٨٩، ص٤١٩.
(٢٠) ابن أبي الحديد، الشرح، ج١٦، ٢٨٢.
(٢١) الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، (القاهرة: مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٧٢م)، ج١، ص٨، الحلو، عامر، معجم الدراسات القرآنية عند الشيعة الإمامية، (بيروت: دار الموسم للإعلام، ١٤١١هـ)، ص٧١.
(٢٢) ابن طاووس، اليقين، ص٤٥.
(٢٣) القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم، تفسير القمي، (النجف الأشرف: مطبعة النجف الأشرف: ١٣٨٧هـ)، ج٢، ص٣٣٥.
(٢٤) المجلسي، محمد باقر، الوجيزة في علم الرجال، (بيروت: الأعلمي، ١٩٩٥م)، ص١٤٤.
(٢٥) الخوئي، إبراهيم بن الحسين، ملخص المقال في أحوال الرجال، (إيران، مطبعة حجرية، بلا)، باب الكنى.
(٢٦) النمازي، علي، مستدركات علم الرجال الحديث، (طهران: شفق، ١٤١٢هـ)، ج١، ص١٩٤.
(٢٧) الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، (طهران: المطبعة الحيدرية، ١٣٩٠هـ)، ج١، ص٤.
(٢٨) ص١٧.
(٢٩) التونكي، محمود حسن خان، معجم المصنفين، (بيروت: مطبعة طبارة، ١٣٤٤هـ)، ج٤، ص٤٠١.
(٣٠) الخوانساري، روضات الجنات، ج١، ص٤.
(٣١) المصدر السابق ج١، ص١٨.
(٣٢) النجاشي، الرجال، ص١٣، الطوسي، الفهرست، ص١٧، أبن شهر أشوب، المعالم، ص٤، أبن حجر، لسان الميزان، ج١، ص١٠٢، البغدادي، الإيضاح، م١، ص٣٠٩.
(٣٣) المصدر السابق ج٢، ص ٣٣٥.
(٣٤) المصدر السابق ج٢، ص٣٣٥.
(٣٥) الحسيني، شرف الدين علي الغروي، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩هـ)، ص٣١٧، ص٣١٩، ص٣٧٣، وغيرها.
(٣٦) ابن شهرآشوب، أبو جعفر محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، (قم: المطبعة العلمية، ١٣٧٨هـ)، ج٣، ص٢١.
(٣٧) الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، (قم: مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٤هـ)، ص٨٢.
(٣٨) ابن جبر، زين الدين علي بن يوسف، نهج الإيمان، (قم: ستارة، ١٤١٨هـ)، ص٥٣٩.
(٣٩) النجاشي، الرجال، ص٣٧٩.
(٤٠) الحسيني، تأويل، ص١٣٥.
(٤١) الحسيني، تأويل، ص٤٠٣.
(٤٢) الحسيني، تأويل، ص٥٨٧.
(٤٣) ابن شهر اشوب، المناقب، ج٢، ص٢٥٢.
(٤٤) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٢، ص٢٨٨.
(٤٥) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٣، ص٥٣.
(٤٦) الحسيني، تأويل، ص٦٢٧.

استطلاع المجلة

مزار كميل بن زياد..

صرح خالد لصاحب الدعاء الخالد

استطلاع: حيدر الجد •
تصوير: ضرغام كمونة •

ينابيع كثيراً ما حدثنا التاريخ عن شخصيات ارتبط مجدها بعمل أقدمت عليه فأصبح جزءاً من عطائها لا تعرف إلا به ولا يعرف إلا بها وكأنما قدر لهما البقاء بحيث يبقى كل منهما رديفاً للآخر.

وقد تنوعت هذه الأعمال بتنوع مجالاتها في نواحي الحياة إلا أن العمل الأبقى والأشرف ما كان مرتبطاً بالخالق (جل وعلا)، دالاً على حسن التوجه إليه والاعتماد عليه في كل وقت، رخاءً أو شدة وقد تصدر الأعمال الدعاء باعتباره مخ العبادة والطريق المهيع اللاحب الذي يفضي إلى الإجابة كما قال الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)، لذا حث أئمة أهل البيت عليهم السلام أتباعهم على المواظبة على الدعاء والاتجاه نحو الجليل، وكان حثهم هذا تارة لجماعة من مواليهم وأخرى لواحد منهم، وعندها يحضى هذا الشخص بارتباط اسمه بالدعاء كأبي حمزة الثمالي وعلقمة وغيرهما من الأصحاب الثقاة. وقد امتاز كميل بن زياد بهذه الصفة، ففاق غيره في ارتباط اسمه بهذا الدعاء الخالد، الذي ألفته الأسماع وحفظته القلوب ولهجت به الألسن حتى صار ملح المناجاة وزينة الأدعية وترنيمة ليلة الجمعة.

في رحاب كميل بن زياد سجلنا استطلاع مجلتنا لهذا العدد ونحن نتأمل في سيرته ودعاه مرة، ونطلع ونلاحظ حملة الأعمار الواسعة التي يشهدها مزاره المبارك مرة أخرى وهو يخلع سربالاً بالياً ويرتدي من جديد حلة سندسية.

كميل بن زياد (سيرة ذاتية)

هو كميل بن زياد بن نهيك (بهيل) بن خيثم (هيثم) بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع[1].

وقال صاحب اللباب (النخعي بفتح النون والخاء وبعدها عين مهملة) هذه النسبة إلى النخع، وهي قبيلة كبيرة من مذحج، واسم النخع جسر بن عمرو،

قيل له النخع، لأنه انتخع من قومه، أي بعد عنهم فنزل بشية (قرية غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن)[٢].

وقد نسب للنخع الكثير من العلماء والأفاضل أمثال علقمة بن قيس النخعي وإبراهيم بن يزيد النخعي وكان مالك الأشتر من أشهر رجالات النخع، الذي حاز ثقة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ونال شهرة واسعة في ميادين الجهاد. وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله لقبيلة النخع بقوله: (اللهم بارك في النخع)[٣]، فاستجاب الله دعاء نبيه وجعلهم مباركين، انضموا إلى الإمام علي عليه السلام وكانوا رجاله المخلصين.

وكما هو الحال مع أغلب رجالات أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد أهمل المؤرخون السنة التي ولد فيها كميل رضي الله عنه، ولكن الزركلي في أعلامه عد سني عمره، وهي على ما ذكرها المؤرخون سبعون سنة، وسنة وفاته (٨٢هـ)، فكانت النتيجة أن تكون سنة ولادته (١٢هـ)[٤] وهي الأقرب إلى الواقع، غير أن ابن الأثير قد روى أن لكميل إدراكاً أي أنه قد ولد قبل العام العاشر للهجرة، وقال آخر: إنه أتى عليه مائة عام والله أعلم.

لم يسلط التاريخ على حياة كميل الاجتماعية ضوءاً، فلا نعرف مثلاً من هو والد كميل أو أخوه ولا نعرف أيضاً ما إذا كان لكميل عقب، اللهم إلا ما ذكره السمعاني في أنسابه عند ذكره القاضي الحنفي أبو القاسم النخعي الكوفي، المعروف بابن كاس فقد ساق نسبه قائلاً: ... بن كامل بن كميل بن زياد[٥]، وعند التتبع للمصادر

قبة مرقد كميل بن زياد (رضوان الله عليه)

لم تتسن لنا معرفة شيء عن كامل بن كميل) انتهى.

منزلة كميل

أثنى المؤرخون من الفريقين على كميل بن زياد وامتدحوا صفاته فقد قال عنه الذهبي: (... كان شريفاً مطاعاً ثقة عابداً على تشيعه، قليل الحديث، قتله الحجاج)[٦]، أما ابن كثير فيقول: (...كميل بن زياد شهد مع علي صفين، وكان شجاعاً فاتكاً، وزاهداً عابداً...)[٧]، أما ابن أبي الحديد فقد صرح عن خصوصية كميل بقوله:(...من أصحاب علي وشيعته وخاصته، وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة...)[٨].

أما من أصحابنا فقد أثنى عليه الكثير منهم صاحب الروضات قائلاً: (... كميل بن زياد بن نهيك النخعي اليماني، المنسوب إليه الدعاء المشهور الخضري المرتضوي، كان من كبار أصحاب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام وولده السبط المجتبى الحسن الزكي عليهما صلوات الله الملك الغني، ومن أجلاء علماء وقته، وعقلاء زمانه، ونساك عصره، وفضلاء أوانه)[٩].

صحبته

لم تذكر الروايات كيف التقى كميل بالإمام علي عليه السلام والظاهر أن اللقاء الأول الذي جمع الإمام بكميل هو مجتمع الكوفة، حيث التقى الإمام عليه السلام بكوكبة من الرجال المخلصين الذين صدقوا الوعد وساروا على المحجة البيضاء أمثال حجر بن عدي، وميثم التمار، ورشيد الهجري وأضرابهم، وعلى أية حال فقد نال كميل مراتب سامية واختص بصحبة سيد الأوصياء فقد روى وحفظ الكثير من الأحاديث التي كان يلقيها الإمام علي عليه السلام على مسامعه.

على أننا لا نجد ذكراً لكميل عند استشهاد الإمام علي عليه السلام ليلة ٢١ من شهر رمضان سنة (٤١هـ) كما لم نجد أحاديثاً يرويها كميل عن الإمام الحسن عليه السلام، بل لم نعرف موقف كميل من الإمام الحسن عليه السلام أبان خذلان الأصحاب له ومغادرته الكوفة والسؤال الآخر الذي يطرح هو لماذا لم يلتحق كميل بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء؟ وقد كان عمره يومذاك - إن أخذنا برواية الزركلي واعتبرنا مولده عام (١٢هـ) - اثنين وأربعين سنة وهو سن مناسب لرجل عرف عند المراس في الحرب فقد شهد صفين وأبلى فيها بلاءً حسناً.

تولي كميل بن زياد ولاية هيت

لما وجد الإمام علي عليه السلام صفوة من أصحابه، قادرين على تحمل أعباء الحكم ومستعدين للتضحية في سبيل أداء الواجب الملقى على عاتقهم قرر عليه السلام إرسالهم إلى البلدان والأمصار ولاة يعملوا على شاكلة إمامهم فينصرون المظلوم ويقتصون من الظالم ويدافعوا عن البلاد وهي محاطة بالأعداء فمعاوية بن أبي سفيان نصب أشراكه بتصيد غفلة العمال والولاة، مما دفع الإمام عليه السلام لإرسال كميل والياً على هيت (وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد، فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة وهي مجاورة للبرية)[١٠]، وكان اختيار

مرقد كميل بن زياد (رضوان الله عليه) أثناء حملة الإعمار

الإمام عليه السلام ينم عن معرفة بشجاعة كميل وحنكته وقابليته على إدارة مدينة مثل هيت فهي ملاصقة لطرف الصحراء، أي أنها عرضة لغارة الأعراب الذين ألفوا النهب والسلب، إضافة لقربها من قرقيسيا ثغر الشاميين المفتوح على العراق الذي ركز فيه معاوية قوته.

وقد رأى كميل أن يغير بجيشه على قرقيسيا بعدما تواردت إلى مسامعه أنباءً عن جمع أهل قرقيسيا السلاح[11] استعداداً للغارة على هيت ولعل خطورة الوضع القائم جعلت كميلاً بموضع يصعب فيه الاتصال بالإمام علي عليه السلام لأخذ الرأي منه فترك هيت واتجه نحو قرقيسيا الأمر الذي مهد لأصحاب معاوية الإغارة على هيت بغياب كميل مما دفع الإمام علي عليه السلام أن يرسل كتاباً لكميل ينكر فيه مغادرته هيت دون أخذ المشورة ولكن كميل أبى أن يترك الإمام عليه السلام غاضباً عليه (فسار إلى شبيب بن عامر عامل الإمام على نصيبين نجدة له في ستمائة فارس ليقاتل أصحاب معاوية الذين توجهوا نحو بلاد الجزيرة فأدرك كميل وجيشه كلاً من عبد الرحمن بن قباث ومعن بن يزيد السلمي ـ من قواد معاوية ـ فقاتلهما كميل وهزمهما فغلب على عسكرهما وأكثر القتل في أهل الشام وأمر ألا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح وقتل من أصحاب كميل رجلان، وكتب إلى علي بالفتح فجزاه خيراً وأجابه جواباً حسناً ورضي عنه، وكان ساخطاً عليه لما تقدم)[12].

دعاء كميل

يذكر ابن طاووس الدعاء قائلاً: (...

سطح الحرم ويبدو فيه إنشاء منافذ جديدة للتهوية

قال كميل بن زياد: كنت جالساً مع مولاي أمير المؤمنين في مسجد البصرة ومعه جماعة من أصحابه، فقال بعضهم ما معنى قول الله عز وجل (فيها يفرق كل أمر حكيم)؟ قال عليه السلام: ليلة النصف من شعبان، والذي نفس علي بيده، أنه ما من عبد إلا وجميع ما يجري عليه من خير وشر مقسوم له في ليلة النصف من شعبان إلى آخر السنة في مثل تلك الليلة المقبلة، وما من عبد يحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلا أجيب له)، فلما انصرف طرقته ليلاً، فقال عليه السلام: ما جاء بك يا كميل؟ قلت: يا أمير المؤمنين دعاء الخضر، فقال: اجلس يا كميل، فإذا حفظت هذا الدعاء، فادع به كل ليلة جمعة، أو في الشهر مرة، أو في السنة مرة، أو في عمرك مرة، تكف وتنصر وترزق ولن تعدم المغفرة، يا كميل أوجب لك طول الصحبة لنا أن نجود بما سألت، ثم قال عليه السلام: اكتب اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء...) الدعاء[١٣].

والظاهر أن الإمام علي عليه السلام قد اصطحب كميل معه عند سيره إلى البصرة في حرب الجمل وبعد انتصاره ودخوله البصرة والمكوث في مسجدها طلباً للعبادة أملى هذا الدعاء المبارك على كميل.

وبخصوص الدعاء يتساءل السيد عز الدين بحر العلوم مستفهماً بقوله: (... فهل أن الدعاء بنصوصه وألفاظه كان من إملاء الخضر وبيانه وقد حفظه الإمام عليه السلام منه؟ أما كيف حفظه وكيف وصل إليه، فهذا من الأمور الغيبية التي أملاها على كميل، أو إن مضامين الدعاء التي كان يدعو بها الخضر عليه السلام فاستحسنه الإمام عليه السلام وصاغه ببيانه وفصاحته الباهرة فجاء بهذه النصوص... ثم يضيف... ولعل هذا أقرب إلى الاحتمال السابق لأن هذا الأسلوب من البيان وهذه الرقة في التعبير هما من مميزات آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وفي مقدمتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث نجد في مناجاتهم مع الله من رقة التعبير ورصانة التركيز ما لا نجده في كثير من أدعية غيرهم)[١٤].

فيمن شرح دعاء كميل

ذكر الشيخ آغا بزرك الطهراني قدس سره جملة من الأعلام الذين وفقوا لوضع شرح مفصل لدعاء كميل نذكر منهم[١٥]:

١- أنيس الليل في شرح دعاء كميل، الشيخ محمد رضا الكلباسي.

٢- سراج الليل في شرح دعاء كميل، الشيخ يوسف الاصفهاني.

٣- أسرار العارفين في شرح دعاء كميل، السيد جعفر بحر العلوم.

٤- مفتاح المراد في شرح دعاء كميل، جمال الدين بن علي الخوانساري.

٥- مصابيح الدجى في شرح دعاء كميل، السيد محمد بن جعفر الحسيني القزويني.

٦- كاشف الأسرار في شرح دعاء كميل، أبو الحسن بن إسماعيل الاصطهباناتي.

إضافة لعشرة شروحات بعنوان (شرح دعاء كميل).

أما من المعاصرين فقد شرحه كل من:

١- السيد عبد الأعلى الموسوي

السبزواري.
٢ـ السيد علي بن الحسين الهاشمي.
٣ـ السيد عز الدين بحر العلوم.
٤ـ الشيخ عز الدين الجزائري.

استشهـاده

لدينـا عـدة نصـوص تبيـن كيفيـة استشـهاده (رضـوان الله عليـه) علي يد الحجاج بن يوسف الثقفي منها ما ذكره ابن حجر (... قال دخل الهيثم بن الأسـود على الحجـاج فقال له: ما فعل كميل بن زيـاد؟ قال: شـيخ كبير في البيت، فقال أين هو؟ قال: ذاك شـيخ كبير قد خرف، فدعاه، فقال أنت صاحـب عثمان، قـال: ما صنعـت بعثمـان؟ قـال: لطمنـي فطلبت القصاص فأقادنـي فعفـوت، قال، فأمر الحجاج بقتله)[١٦].

والقـود هنـا يعنـي: القصاص.

وينقـل ابـن حجـر نصـاً ثانيـاً عن استشـهاد كميـل بقولـه: (قـال جريـر عـن المغيـرة، طلب الحجـاج كميل بن زيـاد فهرب منـه، فحرم قومـه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبيـر قـد نفـذ عمري، لا ينبغـي أن أحـرم قومي عطاءهـم، فخـرج إلـى الحجاج، فلما رآه قال له: لقـد أحببت أن أجد عليك جميلاً، فقال لـه كميل: إنه ما بقي من عمري إلا القليل، فاقض ما أنت قاض، فـإن الموعـد الله، وقـد أخبرنـي أمير المؤمنين عليه السلام أنـك قاتلي، قال: بلى قد كنت فيمن قتل عمـر، اضربوا عنقه، فضربت عنقه)[١٧].

وفـي النـص الثالث الـذي أورده ابن كثيـر وهو بنفس رواية النص الأول مع إضافـة (... وذكر الحجاج علياً في غبون ذلك فنال منه، وصلى عليه كميل، فقال له الحجـاج: والله لأبعثن إليك من يبغض

من ضمن مراحل الإعمار إكساء الجدران الداخلية للحرم بالمرايا

علياً أكثر مما تحبه أنت، فأرسل إليه ابن أدهم، وكان من أهل حمص، ويقال أبا الجهم بن كنانة، فضرب عنه)[١٨].

أما ابن الأثير فيقول: (ثم دعا بكميل بن زياد، فقال له: أنت المقتص من أمير المؤمنين عثمان؟ قد كنت أحب إلي من أن أجد سبيلاً، قال كميل: على أينا أنت أشد غضباً، عليه حين أقاد من نفسه، أم عليّ حين عفوت عنه؟ ثم قال: أيها الرجل من ثقيف، لا تصرف عليّ أنيابك ولا تكشر عليّ كالذئب، والله الناس وكان لا يبايع أحداً إلا قال له: اشهد أنك قد كفرت، فإن قال: نعم، بايعه وإلا قتله، ثم دعا بكميل بن زياد وكان في قومه، ولما أوقف بين يديه... الخ)[٢٠].

من النصوص السابقة نستنتج:

نلمس في النصوص الواردة في حادثة مقتله (رضوان الله عليه) عدة نقاط نشير إليها ففي النص الأول نجد أن: الحجاج يسأل كميل هل أنت صاحب عثمان؟ ومن هذا السؤال يتبين لنا أن كميلاً

المقابر المحيطة بقبر كميل (تحت المرقد).. وفي هذه الزاوية يقع مرقد الخطيب السيد علي بن الحسين الهاشمي

ما بقي من عمري إلا ظمأ الحمار، اقض ما أنت قاض، فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب، قال الحجاج: فإن الحجة عليك، قال: إذن القضاء إليك.. فأمر به فقتل)[١٩].

على أن هناك من يقول إن كميلاً اشترك في وقعة دير الجماجم سنة (٨٢هـ)، منضماً إلى معسكر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فلما انهزم عبد الرحمن أمام جيش الحجاج ودخل الحجاج الكوفة، أخذ البيعة من كان قد سكن المدينة المنورة قبل نزوحه مع قومه النخعيين إلى الكوفة، وقد تكون علاقته بالإمام علي عليه السلام تمتد إلى أيام المدينة.

أما في النص الثاني فنلاحظ:

١- بذل كميل نفسه والتضحية بها لقاء رفع حالة الحرمان والعوز التي تعرض لها قومه.

٢- معرفة كميل بمصيره المؤلم على يد الحجاج وهي من إخبار الإمام علي عليه السلام له كما أخبر عليه السلام رشيداً وميثماً.

٣- استفسار الحجاج (...كنت فيمن قتل عمر...) فيه إشكال لأن كميلاً لم يدرك عمر بن الخطاب وهو كبير بحيث يشترك في دمه، إذا أخذنا برواية الزركلي.

في النص الثالث تسنى لنا معرفة قاتل كميل وهو ابو الجهم بن كنانة في حين يعرض لنا النص الرابع صورة تقريبية عن محاورة الحجاج مع سعيد بن جبير وهذا شأن المتجبر الطاغية مع معارضيه.

أما النص الخامس فيبين لنا أن كميلاً أصبح أميراً لكتيبة القراء التي قاتلت مع عبد الرحمن بن الأشعث في سبيل الخلاص من جور الحجاج وسياسته الدموية القمعية.

المزار.. الماضي والحاضر والمستقبل

أ. في الماضي:

أول من أشار إلى قبر كميل بن زياد هو السيد البراقي حيث ذكر في ترجمة كميل: (... وقبره عند الثوية معروف يزار ويتبرك به)، وقد تبعه السيد محمد باقر الخوانساري في روضات الجنات حيث قال: (ثم إن قبر كميل - على ما ظفروا به في هذه الأواخر، وجعلوا له لوحاً ومزاراً، وبنو عليه بنياناً وشعاراً - واقع بين مسجد الكوفة والنجف الأشرف على يمين الخارج من الكوفة إليه)[٢١].

أما السيد علي الهاشمي فينقل عن العلامة القمي: (إن بالقرب من مسجد الحنانة شرقاً تلاً صغيراً يقال له الثوية، وقديماً محل معروف فيه بئر ماء، ...)[٢٢].

وعلى ما سبق فإن قبر كميل وجد متأخراً، أي لم يتم التطرق إليه من ذي قبل، أما الثوية فهي (موضع قريب من الكوفة، وقيل خريبة إلى جانب الحيرة، على ساعة منها، وذكر العلماء أنها كانت سجناً للنعمان بن المنذر كان يحبس بها من أراد قتله، فكان يقال لمن حبس بها ثوى أي أقام فسميت بالثوية)[٢٣].

في حين يذكر السيد ابن طاووس في مصباحه قائلاً: (هي الآن - أي الثوية - تل بقرب الحنانة عن يسار الطريق للقاصد من الكوفة إلى المشهد)[٢٤]، يعني بذلك مشهد الإمام علي عليه السلام، ولم يشر ابن طاووس إلى قبر كميل مما يدل على إن اكتشاف القبر جاء متأخراً ومن الجدير بالذكر أن في الثوية دفن جملة من الأعلام، أمثال خباب بن الأرت، وجويرية بن مسهر العبدي، والأحنف بن قيس، وسهل بن حنيف، وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن يقطر، وعبيد الله بن أبي رافع ولم يعرف لهؤلاء قبور إلا قبر كميل فهو ماثل للعيان.

وقد ذكر حرز الدين في كتابه: (مرقده بالثوية، عليه قبة بيضاء صغيرة على تل عال من الأرض في الصحراء)[٢٥].

أما حفيد حرز الدين فيقول: (مرقد كميل هو من الآثار الباقية، وكان في أواخر العهد العثماني مهجوراً في صحراء لا يقصده إلا عارفوه، فهو يبعد عن مدينة النجف القديمة حوالي (٥، ١كم) ... ثم يضيف: واليوم عمر أهل الخير والصلاح قبره وجعلوا له حرماً فوقه قبة عالية الذرى، يحيط به صحن مستدير واسع وقد أسست حول صحنه من الداخل غرف وأواوين بنيت من قبل أهل النجف فجعلوها مقابر لهم

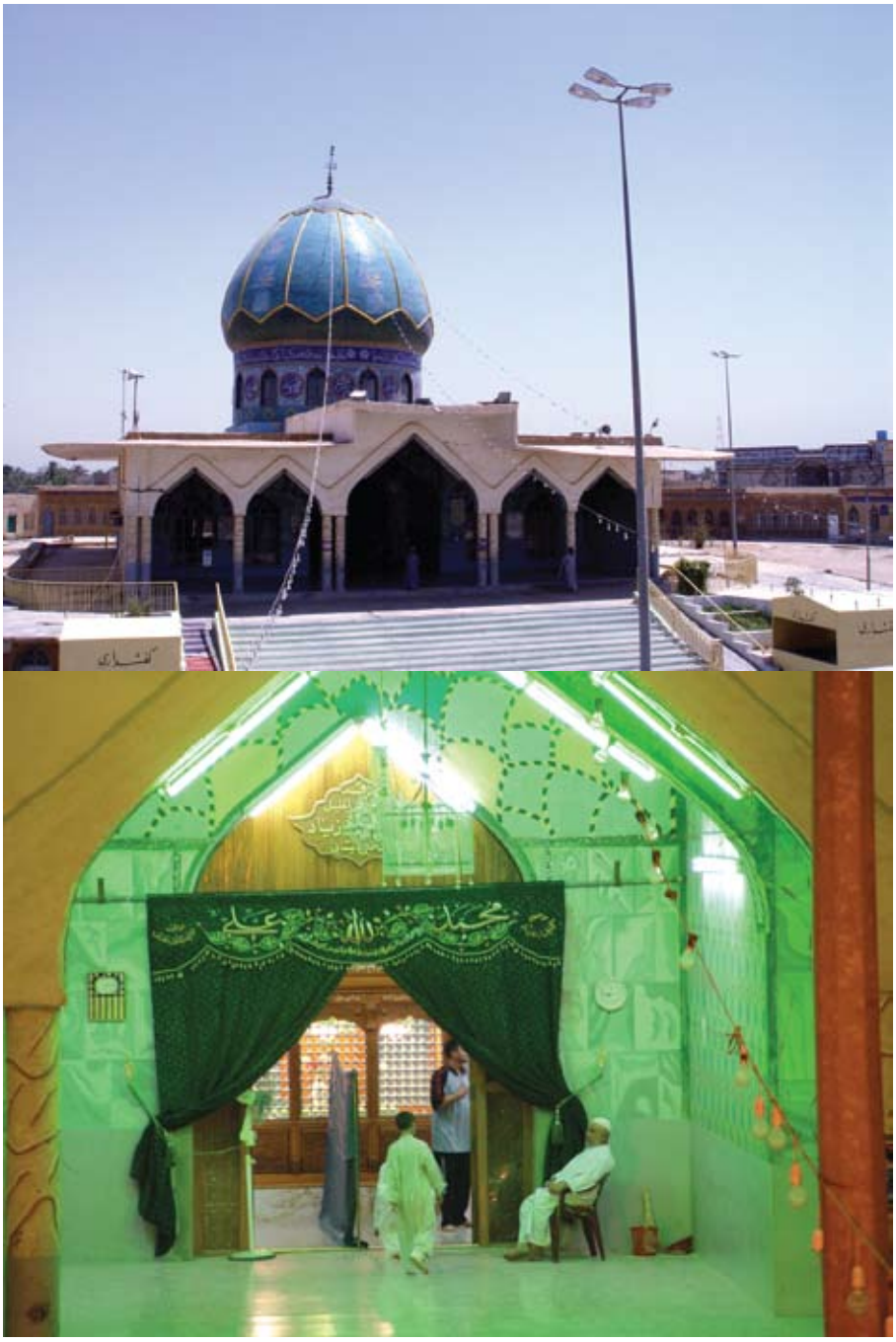

صورتان لمرقد كميل بن زياد (رضوان الله عليه) قبل البدء بحملة الإعمار

ولأسرهم...)[٢٦].

أما الوصف الآخر للقبر فقد ذكره السيد علي الهاشمي قائلاً: (...وقد شيدت ـ على القبر ـ قبة من الآجر مجصصة، وقد عبثت بها الأعاصير والأمطار فضعضعتها ومضت ببهجتها، ومن تحتها حجرة مربعة، وفي وسط الحجرة قبر كميل، وهو دكة مربعة بنيت بالقاشاني الأخضر تلوح عليها آثار القدم، كما أن أرض الغرفة مرصعة بالقاشاني الأخضر.

ووجدت هناك صخرة بيضاء وقد رقمت عليها أبيات من الشعر الفارسي، كما شاهدت على جدار الحضرة لوحة بأطار من الخشب أيضاً كتبت فيها قصيدة من الشعر الفارسي، وهناك صخرة أخرى بيضاء كتبت عليها زيارة كميل...)[٢٧].

ب. في الحاضر:

تبنت مديرية الوقف الشيعي في النجف القيام بإعمار وترميم عدة مزارات في النجف منها مزار كميل بن زياد حيث تضمنت المرحلة الأولى إعادة تأهيل وترميم المزار حيث تم إعادة بناء الهيكل الإنشائي وجدران جديدة مع زخرفة القبة من الداخل، وقد زرناه في اليوم ١٧ من شهر ربيع الثاني لعام ١٤٢٩هـ المصادف ٢٠٠٨/٤/٢٤م فوجدنا أعمال البناء والترميم قائمة على قدم وساق.

يحتوي المزار اليوم على صحن واسع مستدير الشكل تبلغ مساحته حوالي (١١،٠٠٠م٢) تحيط بالصحن أواوين وغرف منها قاعة كبيرة أنشأت لغرض المجالس والفواتح أصبحت أغلبها مقابر

القبر الشريف لكميل بن زياد

لأسر متعددة ففي الجهة الشمالية يقع مرقد عميد المنبر الحسيني الشيخ أحمد الوائلي والى بضع أمتار منه يقع مرقد الخطيب الشهيد الشيخ محمد علي الإيرواني.

يتوسط الصحن المرقد المبارك ويتم الارتقاء إليه عن طريق سلم ثابت، ويتم الدخول للصحن عن طريق عدة منافذ إلا أن المنفذ الجانبي المطل على الشارع المؤدي لشارع كربلاء هو الوحيد المفتوح حالياً.

والظاهر أن التل الذي ذكر في كتابات المؤرخين قامت عليه دعائم القبر اليوم حيث لاحظنا أن تحت الأساس يوجد بناء منخفض بارتفاع متر ونصف تقريباً يحيط بالمرقد من أركانه الأربعة وقد امتلئ بالقبور، ومن الجدير بالذكر أن الخطيب السيد علي الهاشمي الذي ألف كتاباً في كميل، حاز قبراً منها حيث يقع إلى جهة اليمين، الملاصقة للمرقد.

تقع أمام الحرم باحة مسقفة تتوسطها باب كبيرة من الخشب، تفتح على رواق مسقف يحيط بالحرم، وفيه الأعمال جارية حتى اليوم في إكساء الجدران الداخلية بالمرمر على ارتفاع (٢م) تقريباً مع تنفيذ طوق مكتوب عليه أي من القرآن الكريم يحيط بالرواق، يتم الدخول للحرم عن طريق باب رئيسي آخر، تبلغ مساحة الحرم الداخلية (٥،٦٦م٢) وقد رصفت بالمرمر، يتوسطها الصندوق الخشبي الذي يعلو دكة تم إكساؤها بالكاشي، تبلغ المساحة التي

قبر عميد المنبر الحسيني الشيخ أحمد الوائلي

يغطيها الصندوق حوالي (٢٥،٤م٢)، يرتفع الصندوق عن الأرض بمقدار نصف متر كما تم إكساء هذا الارتفاع بالمرمر أيضاً، والصندوق تم وضعه في بداية القرن الميلادي الواحد والعشرين، يعلو الصندوق قبة عالية تزخرف بفنون الزخرفة الإسلامية، تتوزع أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام على محيط القبة يبلغ ارتفاع القبة حوالي (٢٥،٦م) أما قطرها فيبلغ حوالي (١٥،٨م).

وللقبة قصة، فقد كانت قبة كميل مصبوغة باللون الأخضر ثم رغب الحاج حسون علي الصراف بإضافة قبة أخرى دون هدم القبة القديمة وتم ذلك مع مضايقة رجال السلطة الغاشمة آنذاك الذين كانوا يقفون بوجه كل من يريد إعمار بيوت الله ومراقد الأولياء والعلماء، وتبدو القبة من الخارج وقد كسيت بالكاشي الكربلائي بطريقة هندسية حيث توزع اللونين الأخضر الغامق والفاتح على مساحة القبة مع وضع فواصل صفراء اللون، تفصل بين اللونين، يتصل الحرم بثلاث أروقة، اثنان على الجانبين، والثالث يطل على الجهة الخلفية للمرقد، عن طريق ستة مداخل، كل مدخلين يتوسطهما جهة من الجهات الثلاث.

أما الجهة الخلفية للمرقد فتشابه تماماً الجهة الأمامية منه، حيث يتوسط الجهة باب كبير، تتوزع على جانبيه بانتظام ثلاثة شبابيك مزخرفة بالكاشي الكربلائي، والعمل جاري في إكساء المحيط الخارجي للمرقد بالطابوق الفني تطل الجهتان الجانبيتان على المرقد على ساحة الصحن حيث توجد ست منافذ، بارتفاع (٣٣م) وعرض (١م) تقريباً، ثلاثة منها أبواب والثلاثة المتبقيات عبارة عن شبابيك.

ج. في المستقبل:

وقد تحدث لنا الشيخ علي البغدادي، الأمين الخاص لمزار كميل بن زياد عن الخطط المستقبلية الموضوعة قائلاً: (أسندت مهمة تطوير وإعادة تعمير المراقد المطهرة والمزارات إلى الأمانة العامة للعتبات المقدسة بعدما فصلت عن الوقف الشيع وقد تم تكليفي في ٢٠٠٧/٩/١م، وعندها قمنا بإعداد دراسة موسعة عن المزار واحتياجاته بالتزامن مع حملة الأعمار والتي نعدها كمرحلة أولى لإعمار المزار التي تنفذها مديرية الوقف الشيعي في النجف الأشرف بإشراف مجلس إعمار المحافظة وقد تبنينا كأمانة خاصة وضع مرحلتين أخيرتين ليمر المزار بثلاث مراحل إعمار، تتضمن المرحلتين ما يلي:

١- تنفيذ جدار خارجي يحيط بالمزار كاملاً وفق نظرة معمارية هندسية.

٢- بناء مجموعة صحية متكاملة.

٣- إقامة معهد للدراسات العلمية ومجمع للبحوث العلمية وفي النية التواصل مع المراكز البحثية العلمية والجامعات العالمية.

٤- يتكفل المجمع بتحقيق المخطوطات وطبع كتب وإصدار مجلة تعنى بالدراسات والبحوث.

٥- إنشاء مكتبة عامة للمطالعة.

٦- إنشاء قاعة كبيرة للزائرين تتكفل بتهيئة معدات الطعام والشراب.

كل ما ذكرناه تم إدراجه في خطة

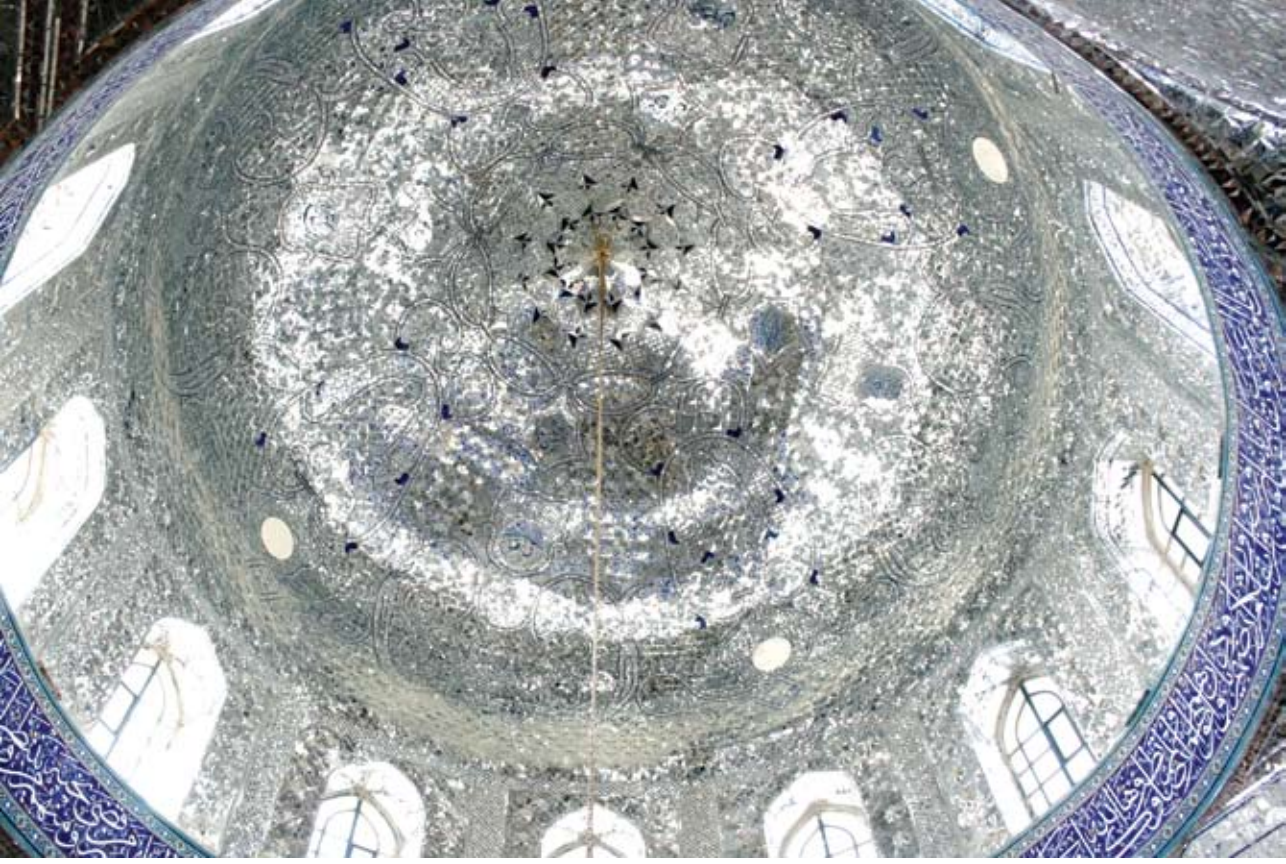

القبة من الداخل وقد تم الانتهاء من إكسائها بالمرايا

عـام (٢٠٠٨م) التـي قدمناها والتي تمت الموافقـة عليهـا، واليـوم نحـن بصدد متابعة المخططات الهندسية التي سوف تنجز ببغداد.

ودعنـا مزار كميل وصـوت الدعاء يتناغم مع الأثير (يا سريع الرضا، اغفر لمـن لا يملك إلا الدعـاء، فإنك فعال لما تشـاء، يا من اسـمه دواء وذكره شـفاء وطاعته غنى، ارحم من رأس ماله الرجاء وسلاحه البكاء...) ■

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٠/٩
(٢) الحموي، معجم البلدان، ٦٢٧/١.
(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٤٦/١.
(٤) الأعلام، ٢٣٤/٥.
(٥) الأنساب، ٤٧٥/٥.
(٦) تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات(٨٠- ١٠٠هـ)
(٧) البداية والنهاية، ٥٠/٩.
(٨) شرح نهج البلاغة ١٤٩/١٧
(٩) ٦١/٦.
(١٠) الهاشمي، كميل بن زياد، ص٢٦
(١١) المصدر السابق، ص٢٥
(١٢) الطبري، الكامل في التاريخ، ١٩٠/٣.
(١٣) إقبال الأعمال، ص٢٢٠.
(١٤) أضواء على دعاء كميل، ص٢٠.
(١٥) الذريعة إلى تضايف الشيعة.
(١٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٢٥/٥.
(١٧) المصدر السابق.
(١٨) ابن كثير، البداية والنهاية ٥٠/٩.
(١٩) ابن الأثير، الكامل، ٨٦/٤.
(٢٠) الهاشمي، كميل بن زياد، ص٧٨.
(٢١) تاريخ الكوفة، ص٣٣٥.
(٢٢) كميل بن زياد، ص٨٣.
(٢٣) الحموي، معجم البلدان، ٨٧/٢.
(٢٤) مصباح الزائر ص١١٩.
(٢٥) مراقد المعارف ٢١٩/٢.
(٢٦) حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف ٣٤١/١.
(٢٧) كميل بن زياد، ص٨٧.

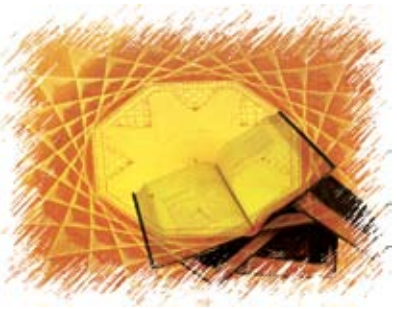

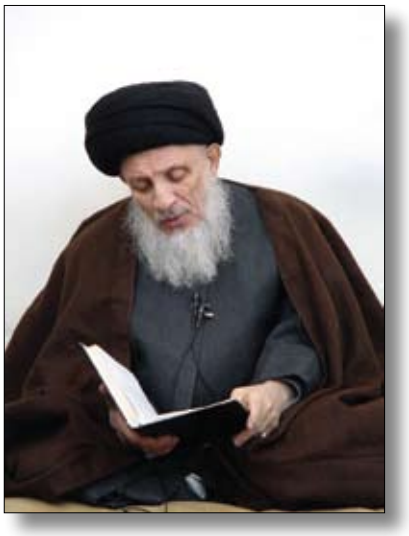

يعلن باب (في رحاب الفقه) عن استعداده للقراء الكرام في استقبال أسئلتهم الفقهية، والإجابة عنها في ضوء فتاوى سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: إذا تأخر الإنسان بشيء من الوقت عن أداء صلاة ما، وذلك بسبب عذر من الأعذار، فما هو الوقت المسموح بالتأخير أو بخروج وقت الصلاة. مثلا: إذا كان أذان الظهر في الساعة الثانية عشرة والنصف أو العشاء في السابعة مساء، فكم تستغرق المدة الزمنية الواجب خلالها الصلاة بعد الأذان (١٥ دقيقة، ٣٠ دقيقة. . . أو أكثر). وإذا مرت هذه المدة وصلى الشخص بعد ذلك، فهل صلاته مقبولة ولها نفس القيمة. وهل هناك مدة زمنية محددة لكل صلاة.

ج: وقت صلاة الظهر والعصر من الزوال إلى غروب الشمس، ووقت المغرب والعشاء من غروب الشمس إلى نصف الليل، وتصح الصلاة في جميع الوقت ولكن الأفضل الإتيان بالصلاة

في أول وقتها مع الإمكان، وهناك أوقات فضيلة لكل صلاة يحسن الإتيان بها في ضمنه مذكورة في المنهاج ج ١ ص ١٧١ وما بعدها.

س: ما حكم قتل الحيوانات غير المأكولة؟

ج: يجوز ذلك خصوصاً إذا كان مؤذياً.

س: كيف يعتمد في التقاويم على أقوال الفلكيين في إثبات أوقات الصلاة وفي الكسوف والخسوف ولا يعتمد عليها في قضية الهلال.

ج: لا يجوز الاعتماد على أقوالهم إلاّ مع العلم بمطابقتها للواقع، ولذلك يشكل الاعتماد على أقوالهم في تحديد الفجر.

س: هل هناك أحاديث في السنة النبوية تحرم أو تدل على حرمة اتباع السحرة والعرافين والكهنة؟ وما هي هذه الأحاديث؟

ج: روي عن الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ساحر المسلمين يقتل وساحر الكفار لا يقتل، قيل يا رسول الله لم لا يقتل ساحر الكفار؟ قال: لان الشرك أعظم من السحر، لان السحر والشرك مقرونان، كما ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له: يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال(عليه السلام): . . . أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلاّ ما يهتدي في بر أو بحر، فإنها تدعو إلى الكهانة والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، سيروا على اسم الله.

س: هل يمكن دفع كفارة الصوم إلى واجب النفقة أم لا؟

ج: لا يجوز دفع الكفارة لمن تجب نفقته على صاحب الكفارة إلاّ أن تكون عليه نفقات غير واجبة على صاحب الكفارة كوفاء دينه أو نحو ذلك فيجوز حينئذٍ دفعها له.

س: ما معنى الكفارة؟

ج: تطلق الكفارة على الواجب المترتب على مخالفة شرعية، مثل كفارة إفطار شهر رمضان بدون عذر، وكفارة القتل، وكفارة مخالفة النذر، وغير ذلك.

س: أنا عراقي احمل الجنسية الهولندية مقيم مع العائلة في هولندا ولي أهل ومصالح في العراق مما جعلني كثير التردد على بغداد التي تواجدت بها قبل غرة رمضان واني من مقلدي سماحة السيد الحكيم (دام ظله) فما حكم صيامي وهل يعتبر العراق لي وطن؟

ج: إذا لم تسبق إعراضُك عن التوطن في العراق، بل تركته لأجل الظروف السابقة فمدينتك السابقة لا تزال وطناً لك ويجب عليك إتمام الصلاة فيها والصيام.

وكذلك إذا صرت الآن كثير السفر - كما يبدو من السؤال - كما إذا كان سفرك مقارباً لحضرك، وكان السفر هو مقتضى وضعك الطبيعي.

وكذلك إذا اتخذت بغداد وطناً جديداً أو مقراً بحيث تسكن فيها مدة طويلة بمنزل وأثاث بحيث يصدق عرفاً أنه مسكنك في المدة المذكورة كالبلد الذي يسكن الطالب في مدة دراسته والموظف في مدة وظيفته ونحوهما. أما إذا كانت السفرات قليلة ومدة الإقامة في بغداد قليلة أيضاً فيجب القصر، كما إذا كنت مسافراً إليها في الأسبوع يوماً أو يومين، أو في الشهر أسبوعاً أو في السنة شهراً أو شهرين ونحو ذلك.

س: هل يجوز ضرب التلميذ في المدارس من قبل المعلم خصوصاً وإن عدم ضربه في بعض الأحيان يكون مدعاة للاستهانة بالأستاذ وعدم أداء الواجبات المطلوبة منه في الصف، علماً انه من المتعارف عليه لدى أولياء الأمور ضرب أبنائهم في المدارس من قبل المعلم لأغراض التأديب وأداء الواجبات المطلوبة منه في المدرسة؟

ج: يجوز ضرب الصبي بإذن الولي وحينئذ إن كان الإذن مستفاداً من شاهد الحال - كوضع الصبي عند المعلم الظاهر في الإذن له بتأديبه بالوضع المتعارف - لزم الاقتصار عند الحاجة على ثلاث ضربات وعدم الزيادة على ذلك إلا بعد مراجعة الولي وشرح الحال له والتعاون معه. وإن كان الإذن مستفاداً بالتنصيص لزم الرجوع لما يقتضيه الإذن سعة وضيقاً مع عدم تعدي الولي عن مقتضى وظيفته المتقدمة.

س: هل يجوز لي أخذ الفائدة من البنك بهدف إعطائها للفقراء والمحتاجين؟

ج: لا يجوز أخذ الفائدة الربوية من البنوك الأهلية المسلمة أو الحكومية التابعة لدولة تدعي لنفسها الخلافة أو الولاية الإسلامية - ولو باطلاً - ويجوز أخذها من البنوك الأهلية الكافرة؛ لأنه يجوز للمسلم أخذ الربا من الكافر. وأما البنوك الحكومية الأخرى فيجوز إجراء صورة القرض معهم بدون قصد الإقراض بفائدة ثم أخذ الفائدة منهم بما أنها مال مجهول مالكه فتقبضها بالوكالة عن سماحة السيد الحكيم (دام ظله) ثم تتملكها لنفسك بشرطين:

١ - ان لا تصرفها في الحرام.

٢ - أن تقوم بتخميسها عند حلول يوم رأس سنتك الخمسية إن لم تصرفها قبل ذلك في المؤنة. وينبغي لك دفع مقدار منها للفقراء مواساة منك لهم.

س: هل يجب إعطاء الخمس إلى المرجع الأعلم حصراً؟ أم لأي مرجع كان سواء قلدته أم لم أقلده؟ وبالنسبة لسهم الفقراء والمساكين وابن السبيل هل أستطيع أن ادفعه لهم مباشرة؟

ج: أما سهم السادات فأجاز سماحة

السيد الحكيم (دام ظلّه) إجازة عامة أن يدفعه المالك إلى المستحقين مباشرة وأما سهم الإمام (عليه السلام) فيجب فيه مراجعة المجتهد الجامع الشرائط البصير وإن لم يكن مقلداً له. أجاز سماحة السيد الحكيم (مدّ ظلّه) لِمَن عليه الخمس دفع سهم بني هاشم إلى مستحقيه مع إحراز الشروط الشرعية. وأما سهم الإمام فيلزم استئذان الحاكم الشرعي الأوثق لدى المكلف في صرفه على مستحقيه فانه أمانة في يد المالك والحاكم الشرعي وعليها إحراز إيصاله إلى مستحقيه، ولا يتعين في الحاكم الشرعي المذكور أن يكون خصوص من يرجع إليه في التقليد.

س: ما حكم لبس الرجال للذهب الأبيض؟

ج: إن كان المقصود به المعدن المأخوذ من معدن الذهب المطلي بلون أو طلاء أبيض فلا يجوز لبسه وإن كان من معدن آخر كالبلاتين فيجوز لبسه.

س: بالعودة إلى الحقيقة الفقهية بأن وقت فضيلة صلاة الظهر هي من الزوال إلى بلوغ ظل الإنسان قدمين (سبعي الشاخص تقريباً). السؤال هو: كم يبلغ هذا الوقت تحديدا على حسابات الساعات والدقائق والثواني؟

ج: يختلف ذلك باختلاف الفصول فلابد من ملاحظة كل فصل على حِدة.

س: هل يجب على الأب أن يعلم أبناءه ما يحتاجونه من أحكام الدين وإذا لم يتمكن من تعليمهم فهل يجب دفعهم إلى من يعلمهم وهل يجب دفع الأجرة؟

ج: نعم يجب على الأب أن يعلّم أولاده ما يحتاجونه من أحكام الدين والعقائد الصحيحة، وإذا لم يتمكن من ذلك ينبغي بل يلزم عليه إرشادهم إلى من يعلّمهم ولو بالأجرة مع القدرة عليها.

س: أرجو من سماحتكم توضيح معاني الاصطلاحات الموجودة في الرسالة العملية لأنها كلها متشابهة علينا مثل الأحوط وجوباً . الأحوط استحباباً . الأظهر . الأقوى، . . . وغيرها الكثير مما هو موجود في الرسالة ويحتاج إلى شرح وتوضيح.

ج: يوجد في كتاب منهاج الصالحين الجزء الأول للسيد الحكيم (مدّ ظلّه) شرح وافي لهذه المصطلحات: فالأحوط وجوباً: هو الاحتياط الذي ليس معه فتوى بالسعة ويتخير المكلف بين العمل به والرجوع لمجتهد آخر مع مراعاة الأعلم فالأعلم.

الأحوط استحباباً: هو الاحتياط الذي معه فتوى بالسعة فإنه لو قيل: (الأحوط استحباباً تركه) يعني جواز فعله مع أنه يحسن للمكلف العمل بالاحتياط المذكور.

أما (الأظهر والأقوى، ولا يبعد ولا يخلو من قوة): فإنها فتوى ويجب العمل بها. ونحن على استعداد لتوضيح كل مسألة أو حكم أو عبارة تخفى عليكم، والله ولي التوفيق والتسديد ■

قصة يتيم

بنت العراق •

ينابيع

شد قبضته على عباءة أمه، ثم حركها أكثر من مرة، ليشعرها بما أصابه من تعب وملل من طول وقوفه على قدميه جنب أمه، في طابور لا بداية له ولا نهاية، يضم العديد من النساء الأرامل والأمهات الثكالى، ولاشك أن والدته إحداهن، ظل يحاول أن يثير انتباهها... حتى انتشلها من حديثها مع جارتها في الطابور... التفتت إليه...مسحت وجهه المتعرق بيديها... وقالت مشجعة لا بأس... سيحين دورنا قريباً وهو بحكم تجربته يعلم أن هذا القريب لا يقل عن ساعتين... فعاد مذعناً إلى تأملاته... هذا حالهم كل شهر... من دائرة إلى أخرى... ومن مؤسسة إلى أخرى... (ضمان اجتماعي، إعالة الفقراء، عوائل الشهداء... الخ). مختلف المسميات ثم مبلغ لا يسد الرمق... يحصلون عليه بعد تعب وجهد ومشقة!.

ولا تنسى الأم أن تكافئه على صبره فتشتري له شيئاً من الحلوى له ولأخوته وإن أضر ذلك بالمصروف...

رن الجرس معلناً نهاية الدرس... وتقافز الصغار من مقاعدهم... وتزاحموا حول باب الصف سعياً إلى ساحة اللعب... راح يرمقهم بأسى... وتمنى لو يلعب معهم، لو يخرج من مقعده... إلا أنه وضع رأسه على ذراعيه... وراح يتأمل قدميه... وبالأخص أصابعه الصغيرة الظاهرة من مقدم الحذاء البالي... حرك أصابعه... فبدت واضحة أكثر... وتمنى لو ينتعل حذاءً جديداً... عندها... لن يسخر من زملائه ولا يتهامسون حوله...

وراح يتساءل مع نفسه... لماذا هو يختلف عنهم... لماذا هو بدون أب... وبدون ملابس جميلة وجديدة... ولعب تسر ناظريه يلهو بها... لماذا عليه أن يتحمل دوماً تعليقات زملائه الجارحة... وأسئلتهم الخبيثة حول لعبه وهندامه...

قالت له أمه: إن عليه أن يدرس ويتفوق... ليحضى بعمل محترم... ثم بإمكانه أن يشتري لنفسه ولأخوته ما يشاؤون... وأعطته حصته من الحلوى فقال لها خجلاً... لا أريد حلوى... أريد حذاءً...

نظرت إليه مدهوشة... وابتلعت ريقها... وقالت... سأحاول أن أشتري لك واحداً... شعر أن ذلك ليس بالقريب... فصمت!!!

ظل يغدو ويروح من وإلى المدرسة يومياً... وبجد... ولكن بدون رفاق... وغالباً ما يطأطئ رأسه لئلا يشاهد الآخرون... عسى أن يتركوه وشأنه...

وأخيراً... انقطع الحذاء اللعين... وغمره شيء من الفرح... لابد وأن يحصل على

غيره... وإلا كيف سيذهب إلى المدرسة... كما يعلم أن والدته ترفض بتاتاً أن يتغيب ولو يوماً عن مدرسته... جاء به شاكياً إلى أمه... وأخبرها أنه لم يعد يمكن أبداً أن يلبسه... فنصحته أن يلبس النعل... فرفض... وبكى... وراح ينتحب... شعر بخيبة أمله... وضياع حلمه... وفي غمرة نوبة البكاء تلك... وجد أمه تشاركه نحيبه... فابتلع دموعه... وأذعن لرغبتها...

ثم أخبرها بما يحز في نفسه... سيسخر مني التلاميذ... وينهرني المعلم...

قالت له بكبرياء... قل له... نحن فقراء والفقر ليس عيباً... إنه بلاء...

حفظ كلمات أمه...

ذهب إلى المدرسة... في التفتيش الصباحي تمّ إخراجه أمام جميع تلاميذ المدرسة وقف وبصره نحو الأرض وسط الساحة... سأله المدير عن حذائه... احمر وجهه خجلاً... تلعثم تذكر كلمات والدته... قالها... نحن فقراء يا أستاذ... والفقر ليس عيباً... إنه بلاء... نظر إليه متعجباً... ما مهنة والدك؟ إنه شهيد. أأنت يتيم؟ نعم.

قال المدير بصوت عال... لدينا ابن شهيد هنا... كلنا مدين له ولوالده لقد بذل الشهيد دمه ليهبنا الحياة... إنه ابن شهيد... أحبوه... واحترموه... واتخذوه مثالاً لكم... نظر الى زملائه في الصف وهم يصفقون له بشدة... ما كان يعلم أنه أفضل منهم... وأنه من الآن وصاعداً سيمر بهم رافعاً رأسه... غير خجل من ملابسه أو حذائه...

فهو ابن الشهيد...

الذي لولاه لم يبق الوطن... وطن ■

قصيدة:

سرّ الوجود

عبد الأمير جمال الدين •

أمّــاه: وَاهــتــزَّ الــوجــودُ لكلمةٍ ... تَحلو بثغرِ الدهرِ حيثُ شداها
وتغيبُ عن عينيهِ في الدنيا الرؤى ... لــيــلاً ويــنــسـى نــفــسَــهُ وَيــراهــا
أمّــاه يا فــردوس روحــي والمنى ... يــا جنتي سـبـحـان مــن سـواهـا
يا بسمةَ العمر الجريح ترف لي ... فيها طــيــوفُ محبتي بهواها
يا كلمتي الأولــى أذيــق نشيدها ... حلواً أو أسمعُ كالكتاب صداها
وأعــيــشُ فــي نبراتِها وَكأنني ... وتــرٌ تــنــسـمَّ روحَــهــا فشداها
وأغيبُ كالدعوات تحت ظلالها ... وأعيشُ كالبسماتِ عندَ رِضاها

* * * * *

مــا الأمُّ إلا لــغــزُ عــقــلٍ حائرٍ ... عَــن وصفهِ يجدُ النعوت متاها
ألــفــى الــضــلال هــدايــة فــإذا به ... جَــعــلَ الأمــومــةَ كــالإلــهِ إلها
وأفــاقَ في دنيا الملائكِ ضائعاً ... حتى هنالك لــمْ يَــجــدْ معناها
ويَــرى بها دُنــيــا الجمالِ فعينه ... لم تلقَ في دنيا الجمالِ سواها
في بسمةِ الزهر ابتسامة ثغرها ... أبــداً وفــي عينِ السنى عَيناها
وعــذوبــة الأنــغــام عــذبُ كلامها ... وَرؤى النجوم الزهر صفو لقاها
نبعُ المحبةِ وَالــصــفــاءِ وطالما ... غــذّتــكَ من لبنِ الحنانِ يَداها
أزكــى من الشعرِ الندي نشيدها ... قُــربَ الــسـريـرِ مــرتــلاً بغناها

أُمــي وَمــا أُمــي ســوى قديسة ... قد عطَّرتْ دُنيا الــوَرى بشَذاها
يــا أنــت يــا ســر الــوجــود حرية ... أن لا أرى في الكونِ غيرَ سناها
وإذا سألت عن المحبة والوفا ... أنــا مــا رَأيــت وفــيّــة إلّاهــا
يا ربِّ عفوك إنْ جهلتُ مَقامَها ... ولتغمرن قَلبي بفيضِ هُداها
مــاذا أقــولُ بها؟ وَمــا من كلمة ... إلا وكانتْ تحتَ سفحِ عُلاها ■

الشيخ محمد بن مكي العاملي
الشهيد الأول (ت٧٨٦هـ)

د. حسين سامي شير علي •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

أنجبت بلاد الشام، وبخاصة لبنان ومنها جبل عامل، العديد من العلماء العامليين المشتغلين في مجال الفقه وأصوله والحديث وفروعه وأقسامه، وكان لهم الأثر الكبير في تطور تلك العلوم من خلال ما قدموه من النتاج العلمي والفكري الذي أثرى المكتبة الإسلامية، ووفر لعلوم الإسلام وللباحثين فيها مصادر أصيلة لا يكاد اليوم يستغني عنها دارس في الفقه أو الأصول أو الحديث.

وكان الشيخ شمس الدين أبو عبد الله

الشهيد محمد بن مكي العاملي الجزيني من أعلام القرن الثامن الهجري) هو أحد العظماء الذين شاركوا في تلك النهضة مجتهداً وعالماً مشتغلاً.

ولد الشهيد الأول سنة (٧٣٤هـ) بقرية جزين، إحدى قرى جبل عامل في لبنان، وترعرع في بيت من بيوت العلم والدين، وتلقى في قريته ـ وكانت يومذاك مركزاً فكرياً إسلامياً ـ مبادئ علوم العربية والفقه، فتح الشهيد الأول عينيه على مخالطة العلماء ومجالستهم، وارتاد في ريعان شبابه الندوات العلمية التي كانت تعقد في أطراف جبل عامل واشترك في حلقات الدرس التي شكلت في المدارس والمساجد والبيوت.

وقد ساهم كذلك في المحاورات العلمية التي كانت تدور بين الأساتذة والطلاب أو بين الطلاب أنفسهم، حتى كان له فيما بعد آراؤه في مسائل الفقه والفكر والأدب، أعانته على ذلك ثقافته الشخصية، وقريحته الفياضة، وبيئته العلمية النشطة.

ولم يكتف الشهيد الأول بثقافته التي تلقاها في جزين، بل راح يتطلع إلى آفاق أخرى في مراكز إسلامية لتلقي المعارف الجديدة، فرحل إلى الحلة وكربلاء المقدسة وبغداد ومكة المكرمة والمدينة المنورة والشام والقدس، وهذه المدن كانت من أهل مراكز التوعية الدينية يومذاك لاسيما مدينة الحلة التي تكرر سفره إليها، حيث تلقى العلوم فيها على يد كبار شيوخها المرموقين أمثال فخر المحققين ابن العلامة الحلي.

ولم يمنعه انتماؤه المذهبي إلى أهل البيت عليهم السلام من دراسة الثقافة السنية، بعدما بلغ شأواً من المعارف، فاطلع وناظر وحاجج في أجواء علمية رحبة، ونظر في ألوان مختلفة من الفكر، وارتاد مختلف مراكز الحركة العقلية في البلاد الإسلامية وجالس العلماء والأساتذة، فاستفاد وأفاد، ـ ويكفي في ذلك قول أستاذه فخر المحققين فيه: (لقد استفدت من تلميذي محمد بن مكي أكثر مما استفاد مني)[١].

أقوال العلماء فيه

امتدحه الكثير من العلماء بألفاظ تدل على مقام سام ومكانة مرموقة، قل أن يوصف بها عالم في عصره:

١ـ قال الشهيد الثاني: (شيخنا المحقق، النحرير المدقق، الجامع بين منقبة العلم والسعادة ومرتبة العمل والشهادة، محمد بن مكي أعلى الله درجته كما شرف خاتمته).

٢ـ قال المحقق الكركي: (فقيه أهل البيت عليهم السلام في زمانه، علم الفقهاء، قدوة المحققين والمدققين).

٣ـ قال الحر العاملي: (كان عالماً ماهراً فقيهاً محدثاً، محققاً، متبحراً جامعاً لفنون العقليات والنقليات، زاهداً، عابداً، شاعراً أديباً، منشأً)[٢].

٤ـ قال الميرزا النوري: (جامع فنون الفضائل وحاوي صنوف المعالي، وصاحب النفس الزكية)[٣].

٥ـ وصفه الشيخ عبد الله أفندي الاصفهاني: (فريد عصره وعديم النظر في زمانه)[٤].

٦ـ ذكره السيد مصطفى التفريشي في رجاله فقال: (شيخ الطائفة وثقتها، نقي الكلام، جيد التصانيف...)[٥].

مكانته الاجتماعية

كان بيت الشهيد الأول ندوة عامرة لأصحاب الفضل والأدب وطلاب المعرفة وعلماء دمشق والأقطار المجاورة الذين كانوا يترددون على دمشق، فكان بيته لا يخلو من الزائرين وأصحاب الحاجات، إذ أصبح ملجأهم، كما أصبح ملجأ العلماء في التدريس، ولمكانته الاجتماعية أصبح الشهيد الأول موضع حفاوة الطبقات المختلفة، مكتسباً شعبية واسعة، حتى استطاع أن يتجاوز بنفوذه الروحي حدود الشام، فانشدّ إليه الملوك والحكام من الأطراف، ومنهم علي بن مؤيد ملك مدينة خراسان، وكان الشهيد على اتصال بهم، مستغلاً ذلك لغاياته الإصلاحية ولقضاء حوائج الناس.

نتاجه العلمي

ألف الشيخ الشهيد مجموعة كبيرة من التصانيف لم يصل أكثرها وطائفة من الرسائل التي شاهدها بعض العلماء ولم تصل إليه يد التحقيق والدراسة فمن مؤلفاته: كتاب الذكرى وهو ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، وكتاب الدروس الشرعية في فقه الإمامية لم يتمه وكتاب غاية المراد في شرح نكت الإرشاد، وكتاب جامع البين من فوائد الشرحين جمع فيه بين شرحي تهذيب الأصول للسيد عميد الدين الأعرج الحسيني والسيد ضياء الدين وهو أحد من روى عنهم من العلماء. وكتاب البيان في الفقه، ورسالة الباقيات الصالحات، واللمعة الدمشقية في الفقه والأربعون حديثاً، والألفية في فقه الصلاة اليومية، ورسالة في قصر من سافر بقصد الافطار والتقصير، وخلاصته الاعتبار في الحج والاعتماد والقواعد، ورسالة التكليف وكتاب المزار.

يقول الشيخ عبد الاصفهاني عن تآليفات الشهيد من الرسائل:

(رسالة التكليف له رأيتها في بلدة عبد العظيم وفي آخرها ذكر الأخبار الواردة في الآداب والسنن وغيرها، ورأيت نسخة عتيقة منها في بلدة أردبيل، وهي رسالة مبسوطة كثيرة الفوائد مشتملة على المسائل المتعلقة بالتكليف وفيها أخبار كثيرة جديدة من كتب غريبة ومشهور. وله أيضاً حواشي القواعد سماها حواشي النجارية، ورسالة مختصرة في العقائد، وشرح مبادئ الأصول للعلامة رأيت قطعة منه في بلدة رشت ومنظومة مختصرة في مقدار نزح ما يقع في البئر، عندنا منه نسخة، وله أيضاً رسالة مختصرة في الوصية بأربع وعشرين خصلة رأيتها بأردبيل وغيرها.

وله أيضاً رسالة الإيجاز المفيد، نسبها إليه سبط الشيخ علي الكركي في رسالة رفع البدعة في حل المتعة)[٦].

وقال العلامة المجلسي: (إن كتاب الإستدراك وكتاب الدرة الباهرة في الأصداف الطاهرة كلاهما للشهيد السعيد شمس الدين محمد كما أظنه، والأخير عندي منقول من خطه قدس الله روحه)[٧].

وفضلاً عن ذلك فقد نسب إليه الكثير من المصنفات.

وللشهيد باع في نظم الشعر ـ فقد أشارت المصادر إلى بعض النصوص منها قوله:

عظمت مصيبة عبدك المسكين
في نومه عن مهر حور العين
الأولياء تمتعوا بك في الدجى
بتهجد وتخشع وحنين
فطردتني عن قرع بابك دونهم
أترى لعظم جرائمي سبقوني
أوجدتهم لم يذنبوا فرحمتهم
أم أذنبوا فغفرت عنهم دوني
إن لم يكن للعفو عندك موضع
للمذنبين فأين حسن ظنوني؟

وله شرح على قصيدة في مدح علي عليه السلام للشيخ أبي الحسن علي بن الحسين الشفيهني.

أولاده

للشهيد ثلاثة أولاد فضلاء فقهاء، وهم الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن والشيخ ضياء الدين أبو القاسم علي والشيخ رضي الدين محمد، والظاهر إن الأول أصغر سناً من الأخيرين، وله بنت فاضلة وهي أم الحسن فاطمة المدعوة بست المشايخ، وزوجة، وكانت أيضاً فاضلة وهي أم علين وكان الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن داود المؤذن العاملي الجزيني ابن عمه.

شهادته رضوان الله تعالى عليه

ذكر القاضي نور الله التستري ما مفاده: إن قاضي دمشق وهي ابن جماعة كان في أيام الشباب شريكاً في مجالس الدرس مع الشهيد رحمه الله فلما شاهد إن الشهيد قد برع أقرانه وامتاز بينهم بمزيد الفضل والكمال غلبه الحسد ونسب إليه الرفض وحصل حكم قتل الشهيد من والي الشام بعد سجنه في قلعة دمشق سنة كاملة، فلما ضج الناس خاف ثورتهم وهجومهم على السجن لإنقاذ الشهيد الأول قدس سره أو الاستيلاء على الحكم، فحاول التعجيل

قلعة دمشق.. القلعة التي حبس فيها الشهيد الأول

بقتله (قدس سره). وكانت شهادته في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ست وثمانين وسبعمائة[٨].

ثم لم تشتف القلوب المريضة بهذا حتى طمعت بإهانة الرجل بعد شهادته، فقد أمر به أن يصلب وهو مقتول على مرأى من الناس، ثم رجم بالحجارة، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بإحراق جثمانه الطاهر.

وقد ادعى بعض المؤلفين ان الشهيد ألف اللمعة الدمشقية في الحبس، وهو غير صحيح لأنه خلاف ما يدل ظاهر مراسلة علي بن المؤيد ملك خراسان وجواب الشهيد لرسوله وتصنيف اللمعة بناءً على ذلك.

ومما يدل على عدم صحة كون اللمعة مؤلف في هذا الحبس المنتهي إلى قتله أنه قدس سره نفسه قد أورد اسم اللمعة في إجازته لعلي بن الحسن الخازن، وكان تاريخ تلك الإجازة سنة أربع وثمانين وسبعمائة قبل شهادته بسنتين.

وكان ملك خراسان ـ السابق الذكر ـ علي بن المؤيد شيعياً، وقد كتب إلى الشهيد رسالة التمس فيها منه المجيء إلى خراسان وأرسلها مع شمس الدين محمد الذي كان من علماء مقربيه إلى الشام، فلم يقبل الشهيد المجيء إليه واعتذر وصنف اللمعة الدمشقية معه ولم ينسخ منها أحد[٩].

مواقفه

سعى الشهيد من خلال علاقاته الواسعة ومكانته في الأوساط العلمية أن يتصدى لمشاريع الإصلاح والتوجيه وتوحيد الكلمة والضرب على أيدي العابثين المغرضين ■

---

(١) انظر: محمد أمين نجف، علماء في رضوان الله، ص٨٩.
(٢) أمل الآمل،
(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري.
(٤) رياض العلماء، ٥/١٨٥.
(٥) نقد الرجال، ص٣٣٤.
(٦) رياض العلماء، ٥/١٨٧-١٨٨.
(٧) بحار الأنوار، ١/١٢٥.
(٨) التستري، مجالس المؤمنين، ص١٤٣.
(٩) رياض العلماء، ٥/١٩٠.

الشيخ سليمان بن ضاهر العاملي

من روّاد الإصلاح في جبل عامل

م. م. مجيد حميد الحدراوي •
الكلية الإسلامية الجامعة

الشيخ سليمان بن ضاهر العاملي

ينابيع لجبل عامل تاريخ مجيد في العلم، وقدح معلى في حلبات الفضل، وشأن في سماء العرفان، وسلف صالح في عالم التصنيف والتأليف، وكان الجبل العاملي منبتاً للعلماء، فقد نشأ فيه كبار علماء التشيع الإمامي وأقاموا فيه مدارسهم، وقد احتفظ بتراث تعليمي وعلمي كبير، ومن يتصفح كتاب (أمل الآمل) لمؤلفه الشيخ محمد الحر العاملي (ت١٦٩٣م)، يعلم المبلغ الذي بلغه جبل عامل من المكانة العلمية والشوط البعيد الذي

أدركه في حلبات الفضل.

إن بلاداً أخرجت الكثير من رجالات الفضل وذوي النبوغ من العلماء والأدباء، انبثق نور الأمل فيها بحياة نهضة فكرية جديدة في مطلع القرن العشرين كان لها أثراً مبروراً في مستقبل المدرسة العاملية ذات الإرث التاريخي العظيم، فكان لثلة من أبناءها دور بارز في السعي لتهذيب العقول وتنوير الأفكار كان منهم العالم والكاتب والشاعر والصحفي الشيخ سليمان ضاهر.

ولد الشيخ سليمان ضاهر النباطي العاملي في النبطية يوم الاثنين العاشر من محرم الحرام عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، بدأ بين النبطية والنميرية وبنت جبيل التي كان لمدرستها الركن الأساس في حياة الشيخ العلمية الأولى، حيث وصفها في ترجمته لنفسه في مجلة العرفان بـ(الشهيرة)، وقد اجتذبت هذه المدرسة شيوخاً من مستوى رفيع وطلاب جيدين.

ومن المدارس الأخرى التي كان لها أثر في حياة الشيخ سليمان ضاهر المدرسة الحميدية التي أسسها السيد حسن يوسف مكي (١٨٤٤- ١٩٠٦) في النبطية، والتي كان عدد طلابها يناهز الـ(٢٠٠) طالب، وكان الشيخ سليمان من طلابها المتميزين، وقد درس فيها علوم الدين والمنطق والبيان على يد أمهر أساتذتها أمثال الشيخ أحمد مروة والسيد حسن يوسف مكي الذي كان يشغل منصب رئيس المدرسة آنذاك.

لقد كان لهذه المدرسة الدور الكبير في رفد الحياة العلمية والأدبية في جبل عامل وكان الشيخ سليمان ضاهر من ثمراتها، فقد انتدب للتدريس فيها وتتلمذ على يديه عدد من أدباء جبل عامل ومثقفيها.

لم يتحدد الشيخ سليمان ضاهر بالعلوم الدينية، بل عكف على مطالعة الكتب العصرية والمنشورات الحديثة كالصحف والمجلات المحلية والعربية لاسيما المقتطف والهلال والمنار وأمثالها، وكان له مراسلات في بعضها كجريدة لبنان التي كان يديرها الشاعر إبراهيم الأسود، ومجلة المرج الصادرة في مرجعيون سنة ١٩٠٩، حيث كان الشيخ سليمان ضاهر يكتب افتتاحيتها بطلب من صاحبها الأديب أسعد رحال.

وكان الشيخ من المؤسسون الأوفياء لمجلة العرفان الصيداوية الصادرة في ٥ شباط١٩٠٩، بل كان أحد أهم أعمدتها الأساسية حتى وفاته، وجاءت مقالاته فيها تحمل أفكاره الإصلاحية لما كان يعانيه المجتمع من تخلف وانحطاط في مختلف المجالات الاجتماعية والإقتصادية والسياسية، وتضمنت مقالاته أيضاً مواقفه من القضايا الوطنية والإسلامية.

وكان للشيخ نشاط في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق، فانتخب للكتابة فيها مواضيع عديدة من بينها ما يخص أحوال المسلمين الشيعة وأموراً أخرى تتعلق بجبل عامل.

جهوده العلمية والفكرية

أدرك سليمان ضاهر أن العلم، وليس غيره هو أداة التغير والتحول

كعلاج للأدواء الاجتماعية والثقافية في محيطه، فقد دعا أبناء قومه إلى النهوض للقضاء على سلطان الجهل، وكان يرجو من ذلك تعميم العلم وإتاحته لفئات المجتمع المختلفة وعن ذلك قال: (إن سكان جبل عامل يربون على مائة ألف في داخلية بلاده وقصباته لا تبلغ العشرة فهل يعجز كل عشرة آلاف عن القيام بنفقة مدرسة ابتدائية وهي لا تربو على عشرة آلاف قرش؟ وهل تؤثر شيئاً في ثروة البلاد مهما كانت متأخرة نفقة مائة ألف قرش على معاهد العلم؟)

وكان الشيخ سليمان ضاهر يعتقد أن الطريق إلى الرقي ومجاراة الأمم المتقدمة ومحاولة اللحاق بركب الحضارة لا يتم إلا عن طريق العلم، وانطلاقاً من ذلك عمل جاهداً مع نخبة من أدباء جبل عامل على نشر التعليم الحديث فاشترك في تأسيس عدد كبير من الجمعيات الخيرية، التي تركزت في النبطية منها:

لجنة المعارف، التي تأسست في سنة ١٨٨٩-١٨٩٠م، وقامت هذه اللجنة بافتتاح مدرسة أغلقتها السلطات العثمانية فيما بعد بحجة أنها كانت تبث روح المقاومة ضد الحكومة العثمانية.

واشترك الشيخ في عام ١٨٩٨-١٨٩٩ في تأسيس جمعية التعاون الخيري كما أشترك في سنة ١٨٩٩ بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية والتي أدت دوراً أساسياً في تطور التعليم في النبطية وجوارها.

وفيما يتعلق بنشاطه الفكري فقد ضمت مجلدات مجلة العرفان معظم أبحاث الشيخ سليمان ضاهر ونتاجه الفكري والأدبي، فمقالاته وقصائده وأبحاثه فيها كثيرة وقد توزعت على (٤٨) مجلداً من مجلدات العرفان التي صدرت في المدة (١٩٠٩-١٩٦٠) وجاءت تزخر بالدعوات الإصلاحية لمختلف القضايا التي تناولتها (الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية).

وعلى ما يبدو فإن عمله في الصحافة قد شغله عن التأليف، الذي انصرف إليه متأخراً فكان مما ألفه من المطبوع:

١- تاريخ قلعة الشقيف. ٢- بنو زهرة الحلبيون. ٣- معجم قرى جبل عامل (نشر مقالات في العرفان). ٤- الذخيرة. ٥- الإلهيات (أحد أجزاء ديوان شعره) ٦- الفلسطينيات (أحد أجزاء ديوان شعره). ٧- تاريخ الشيعة السياسي (جزءان).

٨- الرحلة العراقية (قصيدة وصف فيها مشاهداته في العراق عند زيارته له في عام ١٩٣٣).

٩- الحسين بن علي. ١٠- صفحات من تاريخ جبل عامل. وغير ذلك من الكتب المخطوطة.

وتقديراً لجهوده العلمية والفكرية أنتخب الشيخ سليمان ضاهر عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق في عام ١٩٢٧م، كما كان عضواً في جمعية العلماء العاملية، واختير عضو شرف في جمعية الرابطة العلمية الأدبية النجفية.

نشاطه السياسي

مارس الشيخ سليمان ضاهر العمل

السياسي في سن مبكرة من حياته، فقد كان في طليعة الحركة العربية في بلاد الشام، فانتسب مع عدد من أدباء جبل عامل إلى جمعية الإتحاد والترقي في مرحلة مبكرة من إعادة إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م، بعدما انتشرت أفكار الحرية والعدالة والمساواة، ولكن سرعان ما أخذ ذلك الظن الحسن بجمعية الأتحاد والترقي يتلاشى حين باشرت سياسة التتريك، فأعلن أعضاءها في النبطية انسحابهم من الجمعية في رسالة بعثها سليمان ضاهر وأحمد رضا ومحمد جابر آل صفا إلى رئاسة الحزب المركزية احتجاجاً على السياسة العنصرية تجاه العرب.

كما اشترك الشيخ بمساعدة رئيس المنتدى الأدبي في الأستانة عبد الكريم الخليل في تأسيس فرع الجمعية العربية الفتاة في النبطية في تشرين الثاني/١٩١٤م، وكان عبد الكريم الخليل يخطط للقيام بالثورة على الأتراك في نهاية عام ١٩١٤م، إلا أن هذه الحركة كان قد انكشف أمرها وألقى الأتراك القبض على أعضاءها، ومنهم الشيخ سليمان ضاهر كونه من الوجهاء العاملين المتورطين في هذه القضية، واقتيد إلى ديوان الحرب العرفي في عالية ومثل أمام المحكمة العسكرية في ١٠ حزيران ١٩١٥م بتهمة التآمر على الدولة العثمانية، وقد امتدت المحاكمة عشرين يوماً، لم تثبت أدانته فأخلي سبيله بعد (٥٣) يوماً.

وفي عهد الحكومة الفيصلية في الشام (١٩١٨-١٩٢٠) قام الشيخ سليمان ضاهر بدور فعال في مساندتها والعمل لأجلها، لذا عينته الحكومة بمنصب حاكم صلح في النبطية. وقد أقاله الفرنسيون من منصبه في شباط ١٩١٩، لعدم رضاهم عن مواقفه ورغم ذلك تابع نشاطاته الإدارية والسياسية لحساب فيصل بن الحسين والدعوة له.

اشترك الشيخ سليمان ضاهر في عدد من المؤتمرات الوطنية والقومية الرافضة للانتداب والاحتلال الفرنسي والداعية للوحدة مع سوريا ورفض المشروع الفرنسي المتمثل بدولة (لبنان الكبير) الذي أعلنه الجنرال الفرنسي (غورو) في ١/أيلول/١٩٢٠.

ومن تلك المؤتمرات التي اشترك فيها الشيخ سليمان ضاهر: مؤتمر الوحدة السورية العام في دمشق في ٢٣/حزيران/١٩٢٨، كما ساهم في إقامة حفلة الأربعين للشريف حسين بن علي في النبطية في حزيران ١٩٣١م وأشترك فيها عدد كبير من العلماء والأدباء وجدد المشتركون مطالبهم في الوحدة ورفض الانتداب.

مثل الشيخ سليمان ضاهر الاتجاه الإسلامي الوحدوي في المؤتمر الذي عقد في بيروت في العاشر من آذار/١٩٣٦م وخصص لدراسة مصير الساحل اللبناني و الأقضية الأربعة التي ألحقت بلبنان الكبير سنة ١٩٢٠. وطالب في المؤتمر بوحدة البلاد السورية الشاملة ورفض تجزئتها إلى دويلات متعددة.

وفي سنة ١٩٣٦م عمل الشيخ سليمان ضاهر جاهداً مع عدد من

الأدبـاء العامليـن لعقد مؤتمـر الوحدة السـورية في صيدا، الذي انعقد في ٥/ تموز/١٩٣٦، وأنكر المؤتمر التجزئة التـي أصابت البـلاد والمطالبة بتحقيق الوحدة مع سوريا.

اشـترك الشيخ سـليمان ضاهر في المؤتمر الذي عقد في بلودان (مصيف سـوري يقع بالقرب من دمشـق) سـنة ١٩٣٧م الـذي طالـب بإلغـاء الانتداب البريطانـي علـى فلسـطين ورفـض تقسيمها والمطالبة بإعلانها دولة عربية مستقلة.

رحلاته

قام الشيخ ظاهر بعدة رحلات إلى البلـدان العربيـة والإسـلامية نذكـر منهـا: رحلته إلى العراق في عام ١٩٣٣ حيـث كان أحد أفـراد الوفد العاملي الذي زار العراق للمشـاركة في حفلة تأبين الملك فيصـل الأول، وقد حظي الوفد العاملي في العراق برعاية خاصة ولقـي كثيراً من الاحتفـاء والتكريم أينمـا حل فـي مدن العـراق المختلفة، ولعل أبرز ما حظي به الوفد من حفاوة كانت من لدن المرجع الأكبر السيد أبو الحسـن الأصفهاني الذي قال بحق الوفد (جبل عامل في العراق).

وزار العـراق للمـرة الثانية الشـيخ سـليمان ضاهر في عـام ١٩٣٥ وغادره متوجهـاً إلـى إيـران لزيـارة المراقد المقدسة فيها.

وفـــاته

قضى الشـيخ سـليمان ضاهر نحبه مسـاء الاثنيـن ١٦ جمادي الثانية سـنة ١٣٨٠هـ/٥ كانون الأول/١٩٦٠، وشيع يـوم الثلاثاء بمأتم مهيـب حافل، وقد أقيـم للفقيد أسـبوع حافل فـي النبطية شـارك فيه عدد من الخطباء والشعراء والعلمـاء عبـروا فيـه عن خسـارة جبل عامـل لفقـد الشـيخ سـليمان ضاهـر رجل العلم والأدب والوطنية الصادقة، وكان الفقيد قد أفنى عمره في خدمة وطنـه وأمته ودافع بـكل ما يملك عن مبـادئ وعقائـد الإمامية وشـعائرهم، وكان مثـالاً يحتـذى بـه فـي الفـداء والتضحية في سـبيل المبـادئ والدفاع عن قيم العدل والحق.

وفي الختام لا أدعي الإحاطة بكل ما في شـخصية العلامة الشيخ سليمان ضاهـر مـن معالجـات لأنـه لا يمكن الإحاطة بها في هذه العجالة وحسبي ما ذكرت والله تعالى هو الموفق لما فيه الخير والصلاح ■

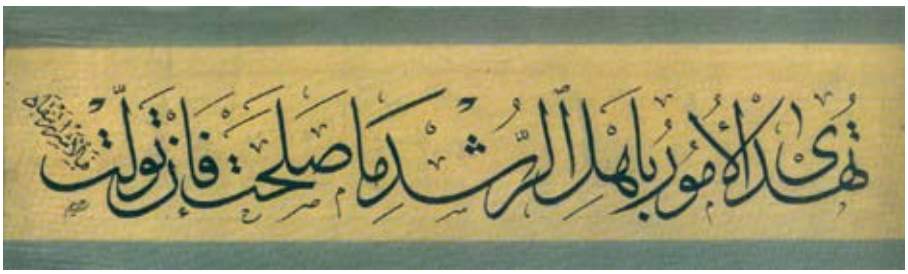

..في الذاكرة

شهر جمادى الأولى:

❋ في اليوم الثاني منه استشهد جعفر الطيار عليه السلام سنة ٨هـ في غزوة مؤتة.

❋ وفي اليوم الخامس منه كانت ولادة السيدة زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام سنة ٥هـ.

❋ وفي اليوم الثامن منه سنة ١٣١٣ هـ كانت وفاة السيد محمد باقر الخونساري صاحب كتاب (روضات الجنات).

❋ وفي اليوم التاسع منه كان استشهاد الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي سنة ٧٨٦هـ.

❋ وفي اليوم الحادي عشر منه كانت ولادة الخواجة نصير الدين الطوسي سنة ٥٩٧هـ.

❋ وفي اليوم الثالث عشر منه سنة ١١هـ كان استشهاد الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام على رواية خمس وخمسين يوماً.

❋ وفي اليوم الخامس عشر منه فتح أمير المؤمنين علي عليه السلام البصرة في حرب الجمل سنة ٣٦هـ.

❋ وفي ليلة الخامس عشر منه أيضاً سنة ٣٨هـ ولد الإمام علي بن الحسين بن أبي طالب عليهما السلام.

❋ وفي اليوم السادس عشر منه كانت غزوة ذات الرقاع سنة ٤هـ واستمرت ثلاثة أيام.

❋ وفي اليوم السابع والعشرين منه كانت وفاة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وآله، توفي ولرسول الله صلى الله عليه وآله من العمر ثمان سنين وشهرين وعشرة أيام، وتولى تربيته عمه أبو طالب عليه السلام.

❋ وفي اليوم التاسع والعشرين منه سنة ٣٠٥هـ كانت وفاة محمد بن عثمان العمري السفير الثاني للإمام الحجة المنتظر عليه السلام.

شهر جمادى الثانية:

❋ في اليوم الثالث منه سنة ١١ هـ كان استشهاد الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام على رواية خمس وتسعين يوماً.

❋ وفي ليلة الرابع منه كان هلاك هارون الرشيد سنة ١٩٣ هـ.

❋ وفي اليوم التاسع منه سنة ١٣٧٧ هـ كانت وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي.

❋ وفي اليوم الثاني عشر منه سنة ٧هـ توجه النبي صلى الله عليه وآله إلى حرب اليهود في خيبر.

❋ وفي اليوم الثالث عشر منه سنة ٦٤هـ كانت وفاة السيدة الجليلة فاطمة الكلابية أم البنين عليها السلام.

❋ وفي اليوم الخامس عشر منه هدمت الكعبة على يد عبد الله بن الزبير سنة ٦٤هـ.

❋ وفي اليوم الثامن عشر منه كانت وفاة الشيخ الأكبر مرتضى الأنصاري سنة ١٢٨١هـ.

❋ وفي اليوم العشرين منه كانت ولادة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد البعثة النبوية بخمس سنوات، وقبل الإسراء بثلاث سنوات.

❋ وفي اليوم الواحد والعشرين منه كانت وفاة السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام بعد أربعة أشهر من رجوعها إلى المدينة سنة ٦١هـ.

❋ وفي اليوم الثالث والعشرين منه كانت وفاة الشيخ جعفر بن سعيد المعروف بالمحقق الحلي سنة ٦٧٦هـ.

❋ وفي اليوم السابع والعشرين منه سنة ١٣ هـ مات أبو بكر وولي عمر بن الخطاب الخلافة.

❋ وفي اليوم التاسع والعشرين منه سنة ٢٥٢هـ كانت وفاة السيد محمد بن الإمام الهادي عليه السلام في سامراء.

السيد محمد بن الإمام الهادي عليه السلام

سبع الدجيل

علي سعد النجفي •
باحث وكاتب

ينابيع في مدينة (بلد) ثوى نجم من آل محمد صلى الله عليه وآله عظيم الشأن شريف المنزلة شخصية بارزة من شخصيات الإسلام الفذة وعلم من أعلام آل محمد صلى الله عليه وآله، قد ورث العزة والرفعة من آبائه الطاهرين عليهم السلام، شخصية اعتقد الشيعة في يوم من الأيام بأنها تصلح للإمامة لطهارتها وطيب منبعها ولولا المنية التي أدركته في هذه البلدة الطاهرة لاختلف الناس فيه، رجل ظهرت كراماته في الآفاق، وبان فضله على الناس، حتى أصبح مرقده الشريف محطاً لأنظار الزائرين الذين يمموا وجوههم شطر سامراء قاصدين الإمامين العسكريين وفي هذه الأسطر المتواضعة نسلط الضوء على أهم الجوانب البارزة في حياة هذا السيد الجليل وقد اقتطفناها من كتاب (سبع الدجيل السيد محمد بن الإمام الهادي عليه السلام) للكاتب برهان البلداوي، من أجل التعريف بهذا السيد الجليل.

انحدر السيد محمد (البعاج) من السلالة الطاهرة فهو عليه السلام ابن الإمام العاشر علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد

بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين)، أما أمه فهي (سليل)، فهو شقيق الإمام الحسن العسكري عليه السلام من أمه وأبيه، وقد قال عنها الإمام الهادي - زوجها - مبيناً عظم شأنها وسمو منزلتها فقال عليه السلام: (سليل مسلولة من الآفات والأنجاس).

وهو أكبر أولاد الإمام الهادي عليه السلام الأربعة فيأتي بعده الإمام الحسن العسكري عليه السلام ومن ثم الحسين وكان صوت الإمام الحجة عليه السلام يشبه صوت عمه الحسين هذا، وكان الناس يعبرون عنه وعن أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالسبطين تشبيهاً لهما بالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وآخرهم جعفر والذي عرف بجعفر الكذاب لإدعائه الإمامة بعد وفاة أخيه الإمام العسكري عليه السلام.

قال العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى عام (١١٠٤هـ) في أرجوزته:

وهاك تاريخ الإمام العاشر
خير الورى وأشرف المعاشر
أولاده الحسين بعد الحسن
محمد وجعفر ذو الفتن

ولد السيد محمد في المدينة المنورة في قرية يقال لها (حريا) التي تبعد عن المدينة المنورة ثلاثة أميال وكان الإمام الكاظم عليه السلام قد أسس هذه القرية. فأصبحت مكان يؤمه أهل هذا البيت الأطهار عليهم السلام وكانت ولادة سيد محمد في (٢٢٨هـ) وكان عمر الإمام الهادي عليه السلام يومذاك (١٦) سنة، وهو يكبر أخيه الإمام العسكري عليه السلام بسنتين حيث أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولد في سنة (٢٣٠هـ) على أشهر الأقوال، وكان السيد محمد يكنى بأبي جعفر الثاني

ولـه ألقاب كثيـرة منها (سـبع الدجيل) وهو أشـهر ألقابه وبه عرف وجاءت هذه التسـمية نسـبة إلى منطقة الدجيل قديماً التـي تمتـد من شـمال مدينة بلـد وحتى جنوبها ليصل إلى مدينة الدجيل الحالية، وكان الزائـرون عنـد زيارتهـم للسـيد محمـد عليه السلام يخافـون مـن قطـاع الطرق واللصـوص بسـبب ضعـف الحكومات المركزية قديماً إلا أن الزائرين لمرقده المقـدس وعنـد وصولهـم إلـى القبـر المبارك كانوا يشـاهدون سـبعاً ضارياً يجوب الأرض التي حول القبر الشريف، وربما شاهدوه وهو رابض على القبر ليلاً ونهاراً وكان لا يـدع أحداً من المعتدين بشراً كان أو حيواناً من الدنو إلى زواره أو الحرم المبـارك إلا ونكل به أو أبعده عن المنطقة، ولـذا كان زائريه ينعمون بالراحـة والاطمئنـان ماداموا في حرمه. وظل السبع موجوداً حتى الأربعينات من القـرن الماضي وله ألقـاب أخرى قريبة من هذه التسـمية (سـبع الجزيرة) و(أسد الدجيل).

ويلقب أيضاً بـ(البعاج) فهو جد السادة البعـاج وهـي مـن الأسـر المعروفـة في جنـوب العراق والأهـواز حيث يرجعون إليه عن طريق أولاده (علي وأحمد).

أقام مـع أبيه الإمام الهـادي عليه السلام في المدينة المنورة، وحتى السـنة الثانية من اسـتخلاف المتوكل العباسي وهي سنة (٢٣٤هـ) حيث سـعى بأبيه الإمام الهادي زبانيـة المتـوكل، بأنـه يجمـع الرجال والسـلاح لغـرض الثورة والوثـوب على الخلافة العباسـية فأرسـل المتوكل إليه يستدعيه إلى سـامراء وخلف ابنه محمداً بالمدينـة طفلاً، ولم يسـجل لنـا التاريخ من حياة السـيد محمـد عليه السلام في ظل حياة أبيه الإمام الهـادي عليه السلام النزر القليل مما سجلته الروايات ولعل هذا الأمر يعود إلى طبيعة الظـروف السياسـية والاجتماعية التـي عاصرهـا الإمام الهـادي عليه السلام دفع إلـى إبقاء الأخوين سـيد محمـد والإمام العسكري عليهما السلام في الظل بعيداً عـن الأضواء بصورة عامة فلم ينوه بعظم شأنهما وجلالة منزلتهما إلا أمام خواصه وثقاته من الشيعة من أجل الحفاظ عليهما من طواغيت عصرهما.

وكان سيد محمد عليه السلام يعاني من ألم الفـراق لأبويـه وأخوته لذلـك فقد قدم لزيارة سر من رأى للقاء بأهله ويظهر من بعـض الأخبار بأنه عليه السلام قد زار أبيه وأهله أكثر من مرة ولوحظ خلال زياراته بأنه كان يأنس بأخيه الحسن العسكري عليه السلام إيناسـاً تاماً فكانـا لا يفترقان، ولوحظ أيضـاً بأنـه كان يأنـس بقـراءة القرآن الكريم ويطيـل قراءته، وبقـي مداوماً لقراءتـه حتى في أيـام مرضه وهو يعاني السـقم أخـذ يتلـوا آيـات مـن الذكـر الحكيـم ويمجد الله تعالى حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها.

وفـــاته

أشار النوبختي في كتابه فرق الشيعة إلى أن وفاة السـيد محمد بن الإمام علي الهـادي عليه السلام كانت قبل وفـاة أبيه الإمام الهـادي عليه السلام بسـنتين، وحيـث أن وفـاة الإمـام الهـادي عليه السلام كانـت فـي سـنة (٢٥٤هـ) فتكون وفاة السـيد محمد عليه السلام فـي سـنة (٢٥٢هـ) أي عن عمـر يناهز (٢٤) عامـاً أي أنه توفي في ريعان شـبابه وغضارة عمره، وذهـب أكثر الباحثين

إلى أن هناك شكوك كثيرة حول وفاته في هذا العمر وفيهم الأستاذ برهان البلداوي حيث قال: ولا أستبعد أن تكون وفاته عليه السلام قد انتهت بدس السم إليه بملاحظة عدة قرائن نستعرضها بالنقاط التالية:

١ـ صغر سنه، وعنفوان شبابه حيث توفي وعمره (٢٤) سنة.

٢ـ مجيئه من الحجاز إلى سامراء بكامل قواه الجسدية والعقلية فقد وصف مجيئه (فقدم عليه مشتداً) أي قوياً كما في الرواية.

٣ـ بعد مكوثه في سامراء ما شاء من الوقت وتجديد العهد بأبيه وأخيه وسائر أهله ومواليه، خرج من سامراء معافاً ولا أثر للمرض فيه، ولو كان مريضاً؟ فكيف يخرج؟ وكيف سمح له والده بمغادرة سامراء.

٤ـ ولما وصل إلى سواد بلد مرض مرضاً شديداً واشتد به مع قصر المسافة بين سامراء وبلد وبدون مقدمة وهذا ما يدعو للشك والريبة بأنه مات موتة طبيعية)[1].

ويذهب الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه (حياة الإمام الحسن العسكري) إلى هذا الرأي أيضاً فيقول: (ولا نعلم سبب وفاة السيد محمد عليه السلام في تلك السن ونعتبر موته حتف أنفه مشكوكاً فيه لأن الأعداء كانوا ينتهزون كل فرصة لقطع خط الإمامة من أهل البيت عليهم السلام، ولعلهم لما عرفوا أن السيد محمد هو المرشح للإمامة بعد أبيه قتلوه كما قتلوا أسلافه من قبل وأباه وأخيه بعد ذلك).

بقي أن نشير إلى نقطة حول وفاته حيث اختلف الباحثين في سبب تواجد السيد محمد عليه السلام في تلك المنطقة ووفاته بها فذهب البعض إلى أنه كان قاصداً الرجوع إلى الحجاز بعد أن زار أباه في سامراء ولما بلغ بلد على تسعة فراسخ مرض وتوفي ومشهده هناك وقد ذهب إلى هذا الرأي الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان، والسيد محمد كاظم القزويني في الإمام الهادي من المهد إلى اللحد، والشيخ محمد حرز الدين في مراقد المعارف... إلخ.

وهناك من يذهب إلى أن للإمام علي الهادي عليه السلام صدقات ووقوف من ضياع وأراضي بمقربة بلد، وقد سجل ذلك بكتاب وكان يتولى أمر تيك الوقوف أبو جعفر محمد بن الإمام الهادي عليه السلام ويؤخذ عوائدها ويصرفها فيما قررت له، ففي إحدى وفاداته للنظر إليها مرض مرض الموت وحضر الإمام الهادي عليه السلام نفسه الأخير، أو حضره وقد لفضه فجهز ودفن حيث قضى نحبه.

وقد ذهب إلى هذا الرأي المحقق محمد علي الغروي نقلاً عن العالم الجليل محمد علي البلداوي.

روى الشيخ الكليني محمد بن يعقوب في الكافي، بسنده إلى عبد الله بن مروان الأنباري قال: كنت حاضراً، عند مضي أبو جعفر محمد بن علي الهادي عليه السلام فجاء أبو الحسن عليه السلام فوضع له كرسي وجلس عليه، وحوله أهل بيته وأبو محمد قائم في ناحية، فلما فرغ من أمر أبي جعفر، التفت إلى أبي محمد العسكري عليه السلام قائلاً: يا بني أحدث لله تبارك وتعالى شكراً فقد أحدث فيك أمراً.

عن الكافي أيضاً بسنده إلى الحسن بن الحسن (الأفطس) قال: إنهم حضروا يوم توفي محمد بن علي الهادي عليه السلام باب أبي الحسن عليه السلام يعزونه، وقد بسط له في صحن داره، والناس جلوس حوله، فقالوا: قدرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب وبني هاشم وقريش مائة وخمسون رجلاً، سوى مواليه وسائر الناس إذ نظر إلى الحسن بن علي العسكري عليه السلام قد جاء مشقوق الجيب، حتى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه، ونظر إليه أبو الحسن عليه السلام بعد ساعة، فقال: يا بني أحدث الله عز وجل شكراً فقد أحدث فيك أمراً، فبكى الفتى وحمد الله واسترجع، فقال: الحمد لله رب العالمين، وأنا أسأل الله تمام نعمة فيك وإنا لله وإنا إليه راجعون، فسألنا عنه، فقيل: هذا الحسن ابنه، وقدرنا له من العمر في ذلك الوقت عشرين سنة أو أرجح ويؤمئذ عرفناه وعلمنا أنه أشار إليه بالإمامة وأقامه مقامه.

قبره الشريف

قبره الشريف في سواد بلد الدجيل وهو من توابع سر من رأى على بعد حدود ستة فراسخ عنها قريب من نهر دجلة على حدود الفرسخ من دجلة، من الجهة الغربية وهو اليوم عامر بالزائرين شامخ الصرح عليه قبة عالية البناء سميكة الدعائم، فقد شادها زعيم الطائفة الميرزا محمد حسن الشيرازي في سنة (١٣١١هـ) يحيط بمرقده الشريف

صحن فيه الغرف والاسطوانات أعدت لزائريه والوفود التي تهوي إليه من كل بلد وصقع، والمرقد يقوم على أرض طاهرة مربعة الشكل تقريباً، يضم قبره الطاهر والمرتفع عن الأرض مقدار متر ونصف المتر تقريباً.

وهو عبارة عن قطعة من الرخام المطعم بالميناء والعاج، مكلل بستر حريري سندسي أخضر، عليه كتابات من آيات الذكر الحكيم مطرزة بالذهب الخالص ويعلو قبره الشريف هدايا ثمينة وآثار عريقة خلفتها الملوك والأعلام.

ويجلل هذا القبر الطاهر صندوق (شباك) ذهبي مطعم بالميناء والعاج، وهو في غاية الفن والروعة والجمال، وقد نقشت عليه سورة الدهر، وأبيات شعرية عرفانية عربية وفارسية، تحيط به من الأعلى (الشباك) رواية عن مجيئه من الحجاز إلى سامراء.

هذا مرقد السيد الجليل، أبا جعفر بن الإمام الهادي عليه السلام عظيم الشأن جليل القدر، كانت الشيعة تعتقد الإمامة فيه بعد أبيه عليه السلام، خلفه أبوه في المدينة، فقدم عليه إلى سامراء مشتداً، وهمّ في الرجوع إلى الحجاز، ولما بلغ بلد على تسعة فراسخ مرض وتوفي فيها، وكانت وفاته بحدود سنة (٢٥٢هـ) انتهى.

وهذه الروضة الشريفة تعلوها قبة كبيرة، شامخة، عالية الذرى، سميكة الدعائم محيطها خمسون متراً (٥٠م) مربعاً وارتفاعها (٤٥م)، هي من أعظم معالم الفن والدقة، زينت بالقاشاني الأزرق الجذاب، وقد زخرفت بزخرفة جميلة جداً طعمت باللون الأبيض مشكلة أروع الألوان وتضم الروضة المباركة وهذا المقام الشامخ باب رئيسية للدخول إلى الحرم الطاهر يسمى (باب القبلة) والتي تعرف بباب الذهب نسبة إلى الباب المغشاة بالذهب المطعم بالفضة والمصنوع من أجود أنواع الخشب العالمي.

وهناك باب أخرى تسمى الباب الوسطية تفصل ما بين الضريح الطاهر والباب الذهبية، وهناك باب أخرى تقع جنوب الضريح مصنوعة من أجود الأخشاب وتحاذي قبته السامية، منارتان اسطوانيتان من جهتها الشمالية والجنوبية ارتفاعها حوالي أكثر من (٥٠م) وقد زينتا بالقاشاني الأزرق الجميل مكللة بدائرة ذهبية من أعلى قمتها.

ويحيط بقبته الشامخة للعلياء سمواً وعزاً، صحن شريف واسع الفناء ذو مساحة كبيرة طول كل ضلع من أضلاعها (١٥٠م) أي أن مساحته الكلية (٥٠٠، ٣٢م٢) ولهذا الصحن الشريف ثلاثة أبواب:

باب القبلة: وتقع في الجهة الغربية من الصحن.

باب الغربي: وتسمى بباب الغروب، وتقع بالقرب من مذبح الذبائح (القصابخانة).

باب الحمد: وهي الباب الثالثة والتي تعتبر الباب الرئيسية والمنفذ الرئيس لدخول الزائرين، وتقع في الجهة الشمالية للصحن المبارك ■

---

(١) سبع الدجيل، برهان البلداوي، ص١١٠.
(٢) حياة الإمام العسكري، باقر شريف القرشي، ص٢٥.

مراحل عمر الإنسان..

الشيخوخة وأرذل العمر

الحلقة الأولى: من وجهة نظر طبية

أ. د. يسار الشماع ●
كلية الطب/ جامعة الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

النحل: ٧٠

ينابيع أرذل العمر يعني أردئ العمر وأوضعه أو أسوأ العمر وأخبثه عند أهله، وقيل: أحقره وأهونه مع حالة من الخوف والخرف والهرم والضعف ونقصان كبير في عقله وحواسه وجوارحه وتغيير كبير في سلوكه.

وعندما يصبح الإنسان في أرذل عمره فإنه لا يرجو بعده صحة وقوة وإنما يرتقب الموت والفناء بخلاف حالة الطفولة والضعف الذي يرجى الكمال والتمام والقوة والصحة فيما بعد. كما ورد ذلك في الآية الكريمة: (اللّه الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ

جَعَلَ من بَعْد ضَعْف قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ من بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً)(الروم:٥٤).

وروي عن النبي محمدﷺ وكذلك عن الإمام عليعليه السلام أن أرذل العمر يكون بعد عمر الخمسة والسبعون من العمر. (مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي).

وعن قتادة أن أرذل العمر هو عندما يكون الشيخ في عمر التسعين عام.

بينما يذهب الطبيب اليوناني أبوقراط إلى تقسيم التقدم في العمر أو الشيخوخة إلى الأقسام التالية:

١- السنوات التي تسبق السبعين من العمر أعتبرها ربيعاً للشيخوخة.

٢- ما بين السبعين والخامسة والسبعين هي فترة ينعم بها الشيخ بما تبقى من خضرة السنوات السابقة.

٣- أما السنوات الواقعة بين الخامسة والسبعين والثمانين من العمر فهو تقدماً حقيقياً في السن.

٤- وبين الثمانين والتسعين يعتبر عجزاً في الشيخوخة.

٥- وبعد التسعين هو أرذل العمر.

لذا فإن أرذل العمر هو أضعف العمر وأردئه.

ويتضح أن الآراء مختلفة حول تحديد فترة أرذل العمر ونستطيع القول أنه لا يوجد فاصل يحدد فيه مرحلة أرذل

العمر.

فمن الناس من يصل إلى أرذل العمر في الخامسة والسبعين من عمره ومنهم من يصبح في أرذل عمره في الثمانين أو التسعين وحتى في المئة عام من عمره. وهذا الاختلاف يعتمد على عوامل كثيرة منها العوامل الصحية والنفسية والاجتماعية والبيئية كذلك العوامل الجغرافية ونوع الإنسان الأسود أو الأبيض وكذلك العوامل الوراثية ويبحث العلم الحديث في علوم الهندسة الوراثية لمعرفة الجينات المسؤولة عن أطالة العمر وتردي الجينات في أرذل العمر.

وتحدث في أرذل العمر تغيرات فسلجية كثيرة بسبب زيادة النواتج الأيضية السامة وتجمعها في الجسم ومن هذه التغييرات هي ضعف التفكير والتركيز ونقصان كبير في ذكائه وتقبله للمعلومات وذلك بسبب ضعف كفاءة الجهاز العصبي المركزي والجهاز العصبي المحيطي الودي واللاودي (الجهاز السمبثاوي واللاسمبثاوي) ولكون أن هذا الجهاز يدخل في تنظيم كافة وظائف أجهزة الجسم الأخرى لذا فأن ضعف هذا الجهاز يؤدي إلى تداعي وضعف أجهزة الجسم الأخرى مثل عدم كفاءة الجهاز الحمضي المصاحبة لحالة الإمساك بسبب عدم كفاءة حركة الأمعاء الدودية والإفرازات المعوية المهمة في عملية الهضم والامتصاص. وهكذا بقية أجهزة وأعضاء الجسم الأخرى مثل الجهاز البولي والجهاز التنفسي.

كذلك هنالك ضعف في حواس الإنسان منها ضعف البصر بسبب نقصان ماء عدسة العين حيث يضعف تكيف البصر لرؤية الأشياء القريبة مما يضطر الشيخ لاستعمال النظارات الطبية والتي لا تنفعه مع المراحل المتقدمة من أرذل العمر. كذلك هنالك ضعف في السمع بسبب عدم كفاءة حركة عظام السمع في الأذن الوسطى مع تثخن غشاء الطبلة. كذلك هنالك ضعف في حاسة الذوق والشم واللمس.

وتتساقط الأسنان أحياناً بسبب قلة مادة الكالسيوم فيها. وتكثر التجاعيد الحادة في الوجه بسبب ترهل عضلات الوجه.

كذلك يضعف الجهاز المناعي ويكون الشيخ عرضة للأمراض والالتهابات الحادة مع تأخير كبير في التئام الجروح. وتتصلب الشرايين حيث تفقد مطاطية جدرانها ومرونتها في تغيير قطرها الداخلي لتنظيم ضغط الدم لذا يصاب الشخص بارتفاع ضغط الدم.

كذلك تفقد العضلات قوتها وحجمها وتصاب بحالة الترهل والضعف.

كذلك هنالك ضعف الإنجاب ويكون ضعف في عملية الإنجاب وضعف في مادة الإنجاب لكلا الجنسين.

وتتصلب المفاصل بسبب عدم كفاءة الغضاريف الذي يسبب ما يعرف (بالسوفان) ويفقد الشيخ قوته على نصب قامته بسبب ضعف العضلات المسؤولة عن انتصاب القامة. ويشعر الشيخ بالدوار أثناء الوقوف وإذا لم يستند إلى قائم أضطرب وسقط أرضاً وذلك يسبب بزهو الجهاز الدهليزي (ارتجاج السائل الموجود في القنوات نصف الهلالية في الأذن الداخلية) وكذلك ضعف في وظائف المخيخ في المحافظة على توازن الإنسان عند الوقوف هذا فضلاً عن ضعف متحسسات المفاصل والعضلات المسؤولة عن الوقوف.

وتكون العظام هشة سهلة الانكسار بسبب فقدانها نسيجها البنائي. لذا عند سقوطه أرضاً قد ينكسر أحد عظام الأطراف السفلى والذي يؤدي إلى تفاقم حالة أرذل العمر.

وقد يكون سبب الدوار عند الوقوف ثم السقوط أرضاً هو بسبب هبوط ضغط الدم عند الوقوف بسبب ضعف الجهاز العصبي السمبثاوي. ونلاحظ هنا أن ضغط الدم يكون مرتفع في حالة الاستلقاء ولكنه يصاب بهبوط الضغط عند الوقوف. لأن ما يحدث عند وقوف الإنسان أن هنالك حجم معين من الدم حوالي ٥٠٠ مللتر ينساب من المناطق العليا للجسم بالأخص منطقة الصدر إلى المناطق السفلى من الجسم بالأخص الساقين بسبب جاذبية الأرض ولكن في الحالة الطبيعية وبسبب مقاومة انعكاسات القلب والأوعية الدموية إضافة إلى تحفز العقدة العصبية أعلى الرقبة يعود نصف حجم هذا الدم إلى منطقة القلب (٢٥٠مللتر) حيث يضخ إلى الدماغ وسائر أنحاء الجسم أما في أرذل العمر فلا يعود إلا الجزء اليسير من الدم حوالي (١٠٠مللتر) من المناطق السفلى إلى منطقة القلب لذا فإن كمية الدم التي تصل إلى الدماغ تكون قليلة جداً والذي يسبب الدوار والدوخة والصداع والسقوط أرضاً ومن الخطأ أن يكون الإسعاف له أن يساعدوه للنهوض إلى وضع الوقوف وإنما يفضل رفع ساقيه في وضع الاستلقاء لكي ينساب الدم إلى منطقة الدماغ.

وفي الآية الكريمة: (لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا).

أي أن الإنسان عندما كان في أوج عظمته وقوته كان عالماً في أشد علمه وذكائه وحيويته ونشاطه يصبح جاهلاً ويصبح كالطفل سريع النسيان وينسى ما كان به عالماً ليرجع إلى حال الطفولة بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر وكأنه لا يعلم شيئاً.

كما وأن سلوكه يتغير وأن التغيير ليس فقط جسمياً وإنما نفسياً وعقلياً حيث يذهب وينعدم عقله وتذهب علومه. ويكون شديد الانفعالات بين أن يشعر بالسعادة المفرطة وبين أن يشعر بالحزن العميق وقد يستيقظ ليلاً ويبكي ودائماً ما تصاحبه حالة الأرق

والشذوذ النفسي والجنسي.

وهنالك احتجاج لعكرمة كما ورد ذلك في مجمع البيان لتفسير القرآن للشيخ الطبرسي. حول الآية: (التين:٥ ، ٦) ثم رددناه أسفل سافلين أي أرذل العمر إلا الذين آمنوا أي إلا الذين قرؤوا القرآن والمتقين وعملوا الصالحات أي أن أسفل سافلين هو أرذل العمر وما مضى احتجاج عكرمة أنه لا يصل لأرذل العمر إلا الناس غير المتقين كما فسر الآية إلا الذين آمنوا أي الذين لا يصلون إلى أرذل العمر وهذا واضح عندما يدعوا الناس متضرعين لله تعالى أن لا يصلوا إلى أرذل العمر لكي لا يكونوا ثقيلين وعالة على أهلهم.

ولكن هذا رأي عكرمة لأن التفسير الآخر للآية الكريمة أن أسفل السافلين هي نار جهنم التي أعدت للكافرين.

كذلك هنالك آية أخرى تشير ضعف الانسان وكيف يكون ذليل ووضيع في أرذل عمره وهي: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ) (ياسين:٦٨).

ننكسه أي نجعله ضعيفاً.

وقد يصل الإنسان إلى عمر المئة عام ودائماً ما يكون راقداً في فراشه لا قوة له وحول إلى أن يتوفاه الأجل في أي ساعة شاء الله تعالى. ومن الممكن أن يتوفى الإنسان في أي مرحلة من عمره مثل مرحلة الطفولة أو في عنفوان الشباب أو عندما يصبح كهلاً في أرذل عمره وحسب مشيئة الله تعالى وبأية طريقة من طرق الموت سواء كانت طبيعية أو غير طبيعية كما في الآية:

(وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (غافر:٦٧).

فهنالك أجل مسمى للموت وفي أي ساعة شاء الله وكذلك هنالك أجل مسمى للطفل عند ولادته من رحم أمه كما في الآية:

(وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) (الحج:٥)

أي أن هنالك أجل مسمى للإنسان لكي يولد ويأتي إلى هذه الحياة وهنالك أجل مسمى آخر لكي يغادر هذه الحياة ويفارقها وحسب مشيئة الله تعالى.

وإذا ما أخذنا السلم الطبيعي لعمر الإنسان تجد أن لكل مرحلة من عمره صفات خاصة بتلك المرحلة كما وصفها أحد الرسامين القدماء حيث تمثل لوحة هذا الفنان طفلاً في المهد وعمره بضعة أشهر ثم يصبح عمره عشرة سنوات وهو طالب مدرسة ثم يكون في الدرجة الأخرى في سلم

الحياة في عمر العشرين سنة وهو متزوج ثم عمر ثلاثون سنة وله أطفال وفي السلم الرابع من عمره وهو عمر الأربعين سنة حيث يكون الإنسان في هذا العمر في قمة نشاطه وحيويته وقوته كما في الآيات التالية:

١- (ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...)(غافر:٦٧، الحج:٥).

٢- (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) (يوسف:٢٢).

٣- (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) (الأحقاف:١٥).

علماً أن الوحي قد نزل على نبينا محمدﷺ وهو في الأربعين من عمره. وكما هو ثابت علمياً وفسلجياً أن عمر الأربعين يكون الإنسان في أعلى مراحل النمو والتكامل والنضج الجسدي والفكري حيث تكون خلايا الدماغ في أوج عضمتها ونشاطها في تقبل المعلومات وكذلك تكون حدة الذكاء والتفكير في عضمتها وتكون قوة الإنجاب عالية جداً في هذا العمر. وتستمر أعضاء الجسم مع هذه الحيوية والفعالية حتى عمر الخمسين عندما يكون الإنسان سليم من الأمراض وبصحة جيدة وحالة نفسية جيدة حيث أن عمر الخمسين وكما وصفه بعض الفلاسفة في قمة سلم العمر أو سلم الحياة على أساس أنه منتصف العمر بين السنة الأولى من ولادته إلى أن يصبح عمره مئة عام وهو عمر ما بعد الشيخوخة كذلك وصف الفلاسفة والعلماء عمر الخمسين أن يكون الإنسان في قمة نشاطه الفكري والإنتاج العلمي والتأليف. أما عمر الستين فهو أقل بقليل عن نشاط عمر الخمسين لذا فأن مراحل عمر الإنسان في الأربعين والخمسين والستين هي قمة حكمته ونشاطه وحيويته في حياته الاجتماعية والفكرية والعلمية مع تراكم الخبرة في حياته أما عمر السبعين حيث تبدأ الشيخوخة أما بعد التسعين فهو أرذل العمر ثم مئة عام حيث تكون مع هذه اللوحة صورة رجل كهل وضعيف مستقر ومستلقي في كرسيه لا قوة له ولا حول مثل الطفل في المهد لا قوة له ولا حول.

فكما كان أهله يطعمونه ويرفعون فضلاته عنه عندما كان في المهد فهنا أيضاً أن أهله يطعمونه ويرفعون فضلاته وهو في أرذل العمر إلى أن يتوفاه الأجل.

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ❖ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن:٢٦/٢٧)

ويسأل المرء يوم الحساب عن أربعة:

١- عمره فيما أفناه.

٢- شبابه فيما أبلاه.

٣- ماله من أين كسبه وفيما أنفقه.

٤- عن حبنا أهل البيت.

وأول ما يحاسب به العبد يوم الحساب هو الصلاة فإن قبلت قبل ما سواها ■

في العدد القادم
الحلقة الثانية:

الشيخوخة وأرذل العمر
من وجهة نظر إسلامية

فهارس مجلة ينابيع

نظراً لكثرة السؤال عن المقالات التي نشرت في الأعداد السابقة من مجلتنا (ينابيع) ارتأت أسرة المجلة عرض فهرس للمقالات المنشورة ومرتبة حسب أبواب المجلة

❊ ❊ ❊

فهرس الأعداد

(بسم الله) إلى العدد (٥)

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
قرآنيات			
قراءة للصورة المجازية في سورة الحج	الشيخ قصي الغراوي	بسم الله	٨
مداليل الشرك في القرآن الكريم	عبد الحسين حمد حسين	بسم الله	١٤
إعجاز القرآن	السيد رياض الحكيم	صفر	٤
قطرة عين قرآنية	أستاذة جامعية	صفر	١٥
شبهات المستشرقين حول المكي والمدني	السيد رياض الحكيم	١	٦
الدلالة الصوتية والموسيقية في سورة الكوثر	عادل عباس النصراوي	١	١٢
البنية السردية في سورة مريم	عبد الهادي أحمد الفرطوسي	٢	٦
سلامة القرآن من التحريف	السيد رياض الحكيم	٣	٨
الحوار في القرآن الكريم .. مفهومه ودلالته	د. محمد محمود زوين	٣	١٢
آيات الدعاء في القرآن الكريم	د. محمد محمود زوين	٤	٥٤
اختلاس الأصوات في بعض ألفاظ القرآن الكريم	عادل عباس النصراوي	٤	٦٤
من أسرار النص القرآني	د. زهير زاهد	٥	١٤
القيمة البيانية لائتلاف اللفظ والمعنى في القرآن الكريم	عادل عباس النصراوي	٥	١٨

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
آمن الرسول			
الدعاء.. رؤية خاصة	علي الشيخ هادي الأسدي	بسم الله	٢٤
الإمام.. الإمامة.. المسار الدلالي	علي الشيخ هادي الأسدي	صفر	٣٦
الإمامة في المفهوم القرآني	السيد محمد القاضي	١	٢٠
جهود الأئمة(ع) في خدمة القرآن والعقيدة	د. ستار الأعرجي	٤	٨٢
دور العقل في بناء العقيدة	السيد علاء الموسوي	٥	٢٦
الإمامة وظاهرة صغر سن الإمام	السيد عبد المطلب الخرسان	٥	٣٤
قضايا معاصرة			
العولمة	علي الفضل	بسم الله	٢٢
العولمة والتشكيل الثقافي	هادي رزاق الخزرجي	بسم الله	٣٥
العولمة ودولة الإمام المهدي	علي الفضل	صفر	٢٨
المعلوماتية	علي الفضل	١	٨٩
العولمة.. ودور المعلم فيها	يوسف شريف المعمار	١	٩٢
من يكتب الدستور؟	محمد الشيخ هادي الأسدي	٢	٢١
أي حدود أولى أن تحمى..؟وممن..؟	د. عبد الهادي الحكيم	٣	٢٠
الاستثمار الأجنبي في العراق فرص وتحديات	علي الفضل	٣	٢٢
الغزو الثقافي .. والفراغ الفكري	بهاء حمزة عباس	٣	٢٧
قانون إدارة الدولة بين الواقع والطموح	حسن عودة زعّال	٣	٢٩
مفاهيم سياسية الحلقة١: النظام البرلماني	مهدي عابدين	٤	٦٨
كيف تحافظ الأنظمة الاستبدادية علي عروشها	محمد حسن الياسري	٤	٧١
مفاهيم سياسية الحلقة٢: نظم الانتخاب	مهدي عابدين	٥	٤٦
عالم غير آمن	ضياء بهاء محمد	٥	٥١
استطلاع المجلة			
صرح ومأساة .. مكتبة الإمام العامة في النجف الأشرف	عمار عبودي نصار	بسم الله	٤٠
مراقد السفراء الأربعة في بغداد	المحرر	صفر	٥٦
مرقد فاطمة بنت الإمام الكاظم (معصومة قم)	السيد علي القاضي	١	٥٠
مسجد النخيلة ومرقد ذي الكفل	علي الشيخ هادي الأسدي	٢	٦٤
الجبايش.. مدينة وهور وتاريخ	المحرر	٣	٤٦
مرقد السيد إبراهيم الغمر	حيدر الجد	٤	٩٠
تربة كربلاء من الألف إلى الياء	حيدر الجد	٥	٥٤

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
في رحاب الفقه			
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)		بسم الله	٣٦
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)		صفر	٥٢
فقه المرأة المعاصرة مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) (الحلقة الأولى)		١	٨٣
فقه المرأة المعاصرة مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) (الحلقة الثانية)		٢	٤٢
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)		٣	٨٢
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)		٤	١٠٢
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)		٥	٧٤
واحة الأدب			
عـن القصة والخليلي والمرأة	المحرر	بسم الله	٦٠
سفر التكوين	ناظم عودة	بسم الله	٦٦
المدرسة	عبد الحسين الشيخ جعفر محبوبه	بسم الله	٦٦
السراج	وردة صالح الكرعاوي	بسم الله	٦٧
الفـنار	سليم رسول	بسم الله	٦٩
قصيدة الحلم	د. عبد الهادي الحكيم	صفر	٣٤
المرشح الأندلسي وتأثيره في الشعر الأوربي	د. حكمة علي الأوسي	صفر	٧٠
قصة... القربان	عبد الحسين الشيخ جعفر محبوبه	١	٧٢
النقد الأدبي وعلم اللغة	هادي رزاق الخزرجي	١	٧٤
الحسين(ع) في قصيدة الجواهري	د. سعيد عدنان	٢	١٠٥
حكاية في دفتر البحر	عبد الرزاق حسن الأميري	٣	١٠١
التوارى خلف النص	عبد الحكيم أمين	٣	١٠٤
حوار مع الدكتور محمد حسين الصغير		٣	١٠٦
الذي طار بعيداً	عبد الحسين الشيخ جعفر محبوبه	٣	١١١
عينية السيد الحميري	د. حسن الخاقاني	٤	٤٢
من طرائف الشعراء العلماء	علي الشيخ هادي الأسدي	٥	١٠٦
حقول المغول	عبد الهادي الحلو	٥	١١٠
حبيب الملاعين	أحمد مطر	٥	١١٢
للفضيلة نجومها			
علمان من آل الكمال	ك.ع.ف	بسم الله	٧٤
اسم في سجل أبي الأحرار السيد مهدي الساچت	محمد السيد حسين الساچت	بسم الله	٧٦

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
شيخ الإسلام المنسي علي بن هلال الجزائري	ك.ع.ف	صفر	٨٠
مؤلفات السيد البراقي ومنهجيتها بين أخذ ورد	محمد جواد فخر الدين	صفر	٨٥
أبو جعفر الدوريستي .. العالم المدرس	كاظم عبود الفتلاوي	١	٨٠
السيد شبر الحويزاوي .. العالم الثائر	كاظم عبود الفتلاوي	٣	٩٦
عون بن عبد الله .. التشابه يولد الإلتباس	حيدر الجد	٣	٩٩
الشيخ بهاء الدين العاملي .. العالم الموسوعي	كاظم عبود الفتلاوي	٤	١٢٢
الخطيب الشيخ عبد الوهاب الكاشي	أحمد الكعبي	٥	٩٦
شيخ الببليوغرافيا آغابزرگ الطهراني	حسين جهاد الحساني	٥	٩٨
إضاءات السيرة			
قبس من نور حياة الزهراء(ع)	كاظم عبود الفتلاوي	بسم الله	٥٨
نظرة في صلح الإمام الحسن(ع)	السيد أسعد القاضي	صفر	٦٦
قبس من هدي آل البيت(ع)	طالب علي الشرقي	١	٧٦
لماذا الحسين(ع)؟	السيد محمد رضا الغريفي	٢	٨٨
قراءات ثلاث في نصّ وصية الإمام أمير المؤمنين(ع) لولديه		٢	٩٢
القراءة الأولى: هل هي خطبة أم وصية؟	د. حسن عودة الغانمي	٢	٩٣
القراءة الثانية: الدروس التربوية في وصيته لولديه(ع)	د. كريم مهدي صالح	٢	٩٥
القراءة الثالثة: في ظلال وصية الإمام علي(ع)	السيد محمد صادق الخرسان	٢	١٠٢
مبادئ عامة لسياسة الحكم عند الإمام أمير المؤمنين(ع)	باحث إسلامي	٣	٨٨
نظرة في سيرة الإمام الحسن(ع)	السيد محمد علي بحر العلوم	٥	٧٨
سلمان الفارسي	أحمد عبد الرسول	٥	٨٣
في النفس والمجتمع			
جهاد النفس	السيد ماجد علي خان	بسم الله	٧٨
تأديب الطفل	المحرر	بسم الله	٨٠
الإنترنت	ع.ف	بسم الله	٨١
الحب .. والعقد النفسية	أحمد ناجي عبود	بسم الله	٨٣
الضائعون .. بين التدين والتمدن	طالب علي الشرقي	صفر	٩٠
مرض الإيدز	د.نبيل عباس عبد علي	١	٢٨
العادة .. والحياة	أحمد ناجي عبود	١	٣٥
الإيدز .. والجنسية المثلية	د. نبيل عباس عبد علي	٢	٧٤
التربية الثقافية .. والثقافة التربوية	هاشم حسين ناصر	٢	٨٠

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
امضغ جيداً	د. زينة زوين	٢	٨٤
الطفل ومن يرعاه	د.فاضل منجي شكر	٣	٣٠
تأثير التطور والنمو التكنولوجي على الأسرة والمجتمع	هاشم حسين ناصر	٣	٣٨
دور المدرسة في التربية والبيئة	د. عبد الصاحب ناجي البغدادي	٣	٤٢
وهل الدين إلاّ الحب	السيد محمد القاضي	٤	١٠٦
الأعمار لاتقرّها شهادات الميلاد	د. نبيل عباس	٤	١١٨
وهل الدين إلاّ الحب	السيد محمد القاضي	٥	٨٦
السلوكيات الأخلاقية وبناءالأسرة والمجتمع	هاشم حسين ناصر المحنك	٥	٩٢
طروحات عامة			
أول درهم عربي سكّ في عهد أمير المؤمنين علي(ع) في البصرة	د. ناهض عبد الرزاق دفتر	١	٤٠
كواكب المنظومة الشمسية بين الرؤيا والحقيقة	د. طالب هادي قدوري	١	٤٢
الطفل.. ومن يرعاه	د. فاضل منجي شكر	١	٤٥
الحرية في الإسلام .. رؤية عامة	الشيخ جهاد الأسدي	١	٤٧
نقود الإمام علي الرضا(ع) في عهد الخليفة المامون	د. ناهض عبد الرزاق دفتر	٢	٤٨
الأسبرين.. من الأرض إلى القمر	د.علي محمد رضا	٢	٥٢
الإنسان الآلي (الروبوت).. صديق.. أم..؟	محمد حميد محبوبه	٢	٥٦
الهوية.. والغزو الثقافي	بهاء حمزة عباس	٢	٦٢
النقود الفاطمية ٢٩٧ـ٥٦٧/ ٩٠٩ـ١١٧م	د. ناهض عبد الرزاق دفتر	٣	٦٢
تحديات الاقتصاد الإسلامي في ظل الواقع الراهن	د. سلام عبد الكريم سميسم	٣	٦٨
نباتات أنابيب الاختبار (زراعة الأنسجة النباتية)	د. سعدون عبد الهادي	٣	٧٥
نشاطات المنظمات الصهيونية في العراق	منذر جواد مرزه	٣	٧٨
التقديم والجديد عن الكوكب زحل وحلقاته	د. طالب هادي قدوري	٤	١٣٦
الوراقة ومفهومها العام	علي جهاد ظاهر الحساني	٤	١٤٠
من مخاطر الغزو الثقافي	بهاء حمزة عباس	٤	١٤٣
الأسر العلمية في مدينة النجف خلال العصر العباسي	محمد جواد فخر الدين	٥	١١٤
الأمم المتحدة .. نظرة تعريفية		٥	١٢١
مظلومية الطلبة في عهد الظلمة	باسل علي عباس	٥	١٣٠
هل فرق الإسلام بين الذكر والأنثى	أمة الله	٥	١٣١
رمز وقصيدة			
الزهراء(ع)	الشيخ أحمد الوائلي	بسم الله	١٩

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
أيا أبا صادق	عبد الحسين حمد حسين	صفر	٢٢
كلمة سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) في تأبين شهيد المحراب		صفر	٢٤
حب الحسين أجنني	د. عبد الهادي الحكيم	١	١٩
تحقيقات			
درّ النجف.. تبرك وتجمل	السيد حيدر الحسيني	٢	١١٠
لقاء العدد			
لقاء مع جاسم الخطاط	حيدر شاكر	٤	١٣٠
قراءات			
كتاب (الملاحم) لأحمد بن جعفر المعروف بـ(ابن المنادي)	ع.ع.ن	بسم الله	٣٣
مواقف وتحليلات			
الاستشراق.. وإشكالية العربي الإسلامي	مشتاق الغزالي	بسم الله	٨٦
علوم الطبيعة عند الأئمة	المهندس علي مرزة	صفر	١٠٢
عبرة من حدث			
الصدّيقة الكبرى (عليها السلام) والحجاب	السيد أسعد القاضي	بسم الله	٩١
عفتك في حجابك	مروة حامد	بسم الله	٩٢
آفاق علمية			
دلالة آية النبأ على حجية خبر الواحد	السيد محمد جعفر الحكيم	١	٦٠
الأصول التاريخية لعلمي الحديث والرجال عند الإمامية	د. حسن الحكيم	١	٦٦
دلالة آية النبأ على حجية خبر الواحد (تتمة)	السيد محمد جعفر الحكيم	٢	٢٦
الأصول التاريخية لعلمي الحديث والرجال عند الإمامية (تتمة)	د. حسن الحكيم	١	٣٥
مقالات متفرقة			
ثلاثة أمراء شعراء من الدولة العلوية في طبرستان	حسين عبد العال اللهيبي	بسم الله	٧٠
عتب على الأَشقّاء مُرٌّ	د. عبد الهادي الحكيم	صفر	٢٦
قصيدة الحلم	د. عبد الهادي الحكيم	صفر	٣٤
قراءة في أدوار النجف الأشرف العلمية	كاظم عبود الفتلاوي	صفر	٤٤
مع الدكتور طالب هادي قدوري	سعد حاتم مرزة	٣	٩٤
هند أبي هالة.. ربيب رسول الله(ص)	محمد جواد فخر الدين	٤	١٢٦
العدل الإلهي	محمد علي الحكيم	٥	٢٢

الفكر التكفيري..
ومشروع النخر الذاتي للأمة

علي عبد الزهرة الفحام •
باحث وكاتب

ينابيع يعد المنهج التكفيري اليوم أحد أبرز المشكلات التي تعاني منها الأمة الإسلامية والتي لا تهدد استقرار البلدان الإسلامية وتطورها فحسب بل تهدد كيان الأمة بحصول النخر الذاتي والإجهاض الداخلي في نسيج الشعوب المسلمة، وتشويه الفكر العقائدي والحضاري والسلوكي الذي كافح المسلمون من أجل إيصاله إلى أقصى بقعة في العالم كمنهج وحيد قادر على صنع الحياة وإدارتها.

أسئلة كثيرة تحوم حول مدرسة التكفير المعاصرة ،نشأتها، خلفيتها، تطورها، الدوائر والمؤسسات التي تقف وراءها، أهدافها، اتجاهاتها، مميزاتها، مشروعها... وغيرها من المواضيع التي نحاول أن نقف عليها عندما نسير معاً في هذا البحث التاريخي السياسي العقائدي.

نشأة المدرسة التكفيرية

نشأت النواة الأولى للفكر التكفيري في زمن أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ٤٠ هـ) عندما برزت مجموعة من ذوي العقول المتحجرة والبصائر العمياء ليأسسوا تياراً عرف تاريخياً باسم (الخوارج) وكان من أهم مميزاته تكفير أهل الكبائر واستحلال دمائهم وأعراضهم وتعدى ذلك بأن اتفقت هذه الجماعة على تكفير أمير المؤمنين وكل الأمة الإسلامية في عهده ما خلا من دخل تحت طاعتهم، ولذلك فقد استخدم أمير المؤمنين الخيار العسكري للتعامل مع هذه الظاهرة بعد أن فشلت كل طرق الحوار معهم وعجز عن إقناعهم بالحجة والدليل والمنطق.

وبفضل أمير المؤمنين عليه السلام فقد تم تطويق هذه الظاهرة حتى تلاشت تقريباً وانكفأت ولم تأخذ أي بعد تنظيمي كحركة جماهيرية لها خطوط ممتدة في المجتمع وإن ظلت موجودة على المستوى التنظيري الفكري لدى أفراد أوجماعات على الساحة الإسلامية.

وكانت أغلب حركات الخوارج ذات الطابع المسلح والتي تهدد سلامة واستقرار العامة في المجتمع وتخرج على الولاة والحكام إنما تنطلق من منطلقات سياسية محضة، وما كان للطابع الفكري أي محورية في حركة تلك الجماعات إلا نادراً.

ولم يكرس المنهج التكفيري على مستوى النظرية الإسلامية إلا في نهايات القرن السابع الهجري حيث ظهر الشيخ تقي الدين أبو العباس الملقب بابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) الذي تميز فكره بالشذوذ والتطرف

والابتعاد عن كل النظريات الإسلامية التي تناقلتها أجيال المسلمين جيلاً بعد جيل، وأسس ابن تيمية للفكر التكفيري خصوصاً ذلك الموجه ضد شيعة أهل البيت عليهم السلام وكان من الأوائل الذين ربطوا مذهب أهل البيت عليهم السلام باليهود وقال عن الشيعة (أنهم شر من عامة أهل الأهواء، وأحق بالقتال من الخوارج)!! وتنقل أدبيات السلفيين المعاصرين مقولة مشهورة له تقول: (إذا صار لليهود دولة بالعراق وغيره، تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم) (منهاج السنة النبوية : ج٣/ ص٣٧٨). وكان الرجل عنيداً وصلباً في الدفاع عن مبادئه الفاسدة ليؤسس فكراً عقائدياً جديداً يؤمن بالتجسيم ويطعن بأهل البيت ويحرض المسلمين على شيعتهم.

وقد كانت الأفكار التي ابتدعها ابن تيمية هي المحرك الأساسي للنظريات التكفيرية التي تبناها فيما بعد محمد عبد الوهاب (ت١٢٠٧هـ) مؤسس الفكر التكفيري الحديث إلا إن عبد الوهاب أضاف لها بعداً جديداً وأخرجها من إطار النظرية الكلامية إلى فعل واقع على الأرض خصوصاً بعد تحالفه مع آل سعود ليوفروا لحركته الغطاء السياسي والمالي بعد أن وفر لهم الغطاء الشرعي حيث كان يدعو(لطاعة الحاكم واتباعه وعدم الخروج عليه مما وفر الأرضية المناسبة لبروزه واستقطاب الناس حوله) ثم استقر النظام الديني للوهابية على أن يتولى الملك من آل سعود إمامة الوهابية وبذلك لقيت هذه الحركة السلفية الأصولية احتراماً من قبل الحكام السعوديين المتعاقبين على السلطة مما وفر لها فرص الديمومة والاستقرار (انظر : الوهابية، شبكة (راصد) الالكترونية).

والمسألة الثانية التي استفاد منها عبد الوهاب هي ترسيخ مفهوم (الجهاد المقدس) في عقول أتباعه وبهذا وقع على النقطة الحساسة في المجتمع البدوي القائم على الغزو والغنيمة فصارت القبائل تتهافت على الانضمام لهذه الدعوة الجديدة !!

وبهذا أصبحت دولة آل سعود في الحجاز هي الراعي الأول لمدرسة التكفير العالمية فقد رصدت الإمكانيات الاقتصادية الهائلة لهذه الدولة النفطية لتغطية النفقات الدعوية للحركة السلفية الوهابية والتي هي أصل المدرسة التكفيرية المعاصرة والداعم الرئيس لحركات العنف والتطرف التي ظهرت في مناطق مختلفة من العالمين العربي والإسلامي وتحت مسميات واطر تنظيمية متباينة، ومن هذه الحركات بعض الأجنحة في حركة الإخوان المسلمين، الجماعة الإسلامية بمصر، الجماعة الإسلامية في الجزائر، وحركة طالبان في أفغانستان ولاحقاً في باكستان، تنظيم القاعدة ومثل الأخير الطفرة النوعية في الخط البياني لجماعات

التكفير والعنف فقد أضحت القاعدة ثقافة منتشرة في جميع دول العالم تقريباً وشكلت شبكة عنكبوتية من الخلايا النائمة التي وإن لم ترتبط بشكل عضوي تنظيمي حقيقي إلا أنها ارتبطت أيديولوجياً وأنتجت تنظيمات محلية متفرقة تتبنى النظرة ذاتها والأسلوب نفسه في التعامل مع الحكومات والمجتمعات فكانت تنظيمات : القاعدة في بلاد الرافدين التي أسسها أبو مصعب الزرقاوي (ت ١٤٢٧هـ)، القاعدة في جزيرة العرب وهو تنظيم ناشط في المملكة السعودية، القاعدة في بلاد الشام ظهر مؤخرا على المستوى الإعلامي دون المستوى العملياتي، القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وهو تنظيم بدأ ينشط بكثافة في البلدان العربية في شمال أفريقيا خصوصاً في الجزائر والمغرب، تنظيم المحاكم الإسلامية في الصومال والذي يقال أنه مرتبط بشكل أو بآخر بالقاعدة، تنظيم فتح الإسلام ظهر مؤخراً في لبنان، تنظيم جند الشام ناشط في سوريا ولبنان والأردن، تنظيم جيش الإسلام ناشط في فلسطين وخاصة في قطاع غزة، تنظيم أنصار الإسلام ناشط في شمال العراق، فضلاً عن تنظيمات أخرى في أوروبا ومناطق في شرق وجنوب شرق آسيا.

مميزات الحركات التكفيرية

أولاً: التخبط في فهم الدليل الشرعي.

وهو ناتج عن الجهل وقلة المعرفة والتقوقع النفسي وعدم الانفتاح والخروج عن رأي الجماعة مما أدى إلى خلل كبير في منهجهم الاستدلالي المتعلق بالأحكام الشرعية والفهم العقائدي فالخوارج طبقوا الآيات التي تخص الكافرين على أقرانهم المسلمين وأخذوا المتشابهات من القرآن وتركوا المحكم منه، وفي هذا المجال يعترف الشيخ حسن فرحان المالكي أحد السلفيين المعتدلين أن شيخه عبد الوهاب (ليس بذلك المحقق المدقق مع ضعف ظاهر بالحديث والتاريخ فلذلك أخذ يقمش كل التشددات في الحكم على الأمور بشرك أو بدعة فيستشهد بمطلقات النصوص الصحيحة وصريحات النصوص الضعيفة وأكثر من بناء الأحكام التكفيرية الصريحة على حديث ضعيف أو أثر موضوع أو قياس فاسد مع صحة نية وقوة عبادة وهمة تدفع الجبال..) !!

ثانياً: العنف والقسوة.

وهي صفة لازمتهم منذ نشأتهم وصنعتها الطبيعة السيكولوجية التي حكمت عقولهم والفكر القبلي الذي كان ولا زال مسيطراً على أغلب المجتمعات التي انطلقت منها الحركة السلفية وأمثلتها التاريخية واضحة فالخوارج أسلاف السلفية المعاصرة ارتكبوا جرائم فضيعة بحق أتباع أمير المؤمنين (فقد قتلوا الأطفال حتى البهائم وبقروا بطون النساء الحوامل ودمروا القرى ونهبوا البيوت) وفي التاريخ الحديث قامت

حركة طالبان بالتعاون مع أسامة بن لادن بقتل الآلاف من الشيعة الأفغان في مدينة (مزار شريف)، أما القاعدة فجرائمها وعملياتها الإجرامية معروفة للجميع سواء في العراق أم في الدول الأخرى، وهذا الأسلوب المعتمد على العنف والتطرف هو أيضاً نتاج الخلفية الفكرية والنفسية التي تنطبق منها هذه الجماعات.

ثالثاً: الانغلاق والتعصب.

وتتمثل في عدم استعدادهم لمراجعة أفكارهم والإصلاح في مؤسساتهم ورؤاهم العقائدية والسياسية ورفض الحوار مع الآخر واعتبار (مبدأ التقريب بين المذاهب) فخاً ينصب لأهل السنة وهذا الانغلاق النفسي هو الذي أنتج التوجه التكفيري لهذه الجماعات بحيث لا يمكنها تحمل وجود رأي إسلامي معارض لها فتسعى لإلصاق تهمة الكفر بالآخرين ورميهم بمخالفة الإسلام وبالتالي استخدام سلاح السب والشتائم والتصفية الجسدية لأنها حيلة من لا عقل له ولا دليل !!

رابعاً: سرعة التقلب وتغيير الآراء.

ونقصد به وجود حالة من التشرذم واللا توافق بين المدارس التكفيرية السلفية بسبب التخبط في منهج الاستدلال الذي ذكرناه وكذلك الحالة الانتقائية المتفشية بين أوساط هذه المدرسة ولعل انقلاب السلفيين من طاعة الحاكم إلى تكفير الحكومات أوضح مصادق ذلك الانقلاب، فمحمد عبد الوهاب الذي دعا إلى طاعة الحاكم طاعة عمياء ولو كان فاسقاً خارجاً عن تعاليم الإسلام انقلبت عليه السلفية المعاصرة التي جعلت من الحاكم - بغض النظر عن رأينا به - وشعبه ومؤسساته العسكرية والمدنية أهدافاً للجهاد المقدس بعد أن استحدثت مفهوم الولاء والبراء على الطريقة السلفية!!.

خامساً: معاداة أهل البيت وشيعتهم وموالاة أعدائهم

وهي سمة بارزة لكل الحركات التكفيرية في التاريخ الإسلامي والذي يزور موقع (التوحيد والجهاد) لمحمد المقدسي وهو أستاذ أبي مصعب الزرقاوي يجد ركناً خاصاً يتحدث عن (فضائل أمير المؤمنين معاوية) !! وفي السياق نفسه يذكر الشيخ حسن فرحان المالكي في كتابه (داعية وليس نبياً) : أن الخط السلفي المعاصر المتشدد ورث (النصب لآل البيت) من السلفيين النواصب المتقدمين - كما يقول هو- كابن تيمية والفراء الحنبلي ومحب الدين الخطيب ولذلك نجدهم -أي السلفيين- مستعدون لأن (يلمزوا في علي بن أبي طالب وأهل بيته باسم السنة! ويثنون على معاوية ويزيد وشيعتهم باسم السنة أيضاً ! كم هو حال الكثير من الرسائل الجامعية في السعودية)!! وهي شهادة صريحة وواضحة من داعية سلفي وهابي سعودي يشهد فيها على حالة التردي والسقوط التي تعيشها المؤسسة الدينية في السعودية جراء الفكر

الناصبي التكفيري الذي أسس له شيخهم عبد الوهاب.

سادساً: العمالة لقوى الاستكبار العالمي.

من المعروف لدى الكثير أن الولايات المتحدة كانت المجهز الرئيس لحركة المجاهدين الأفغان والعرب التي قاتلت الاحتلال السوفياتي في أفغانستان والتي انفكت فيما بعد لتشكل النواة لظهور تنظيم القاعدة وحركة طالبان، وحركة طالبان كانت تتلقى مساعدات عسكرية من حكومة باكستان الموالية للولايات المتحدة، والكل يعرف كيف تدخلت المخابرات البريطانية في إعداد وتهيئة (محمد عبد الوهاب) لكي يكون الخادم المطيع للأجندة الاستعمارية في بلاد المسلمين، وقد ورد في مجلة (الوعي) الالكترونية العدد ٢١٣، تشرين الثاني٢٠٠٤م ما يؤكد هذا المعنى حيث تذكر المجلة: ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية، جاء روزفلت الرئيس الأميركي إلى الشرق الأوسط، واجتمع بالملك عبد العزيز في قناة السويس، على ظهر الطراد الأميركي (كوينسي)، وقال له الملك عبد العزيز: «أنت أخي وكنت أشتاق دائماً إلى رؤيتك، وأريد أن يكون تعاملي معك أنت، وليس مع غيرك؛ لأنك رجل مبادئ، ونصير حقوق، ونحن العرب نتطلع إليك في

طلب العدل والإنصاف من تحكم واستبداد الآخرين» (يعني الإنجليز). ومنذ ذلك التاريخ تحولت السعودية تحولاً كاملاً إلى أميركا، وقول عبد العزيز «أريد أن يكون تعاملي معك أنت، وليس مع غيرك» وقوله «نحن العرب نتطلع إليك في طلب العدل والإنصاف من تحكم واستبداد الآخرين» يشير صراحة إلى أنه انتقل إلى موالاة أميركا موالاة تامة في جميع الشؤون، بعد أن كان موالياً للإنجليز في بعضها، وموالياً لأميركا في بعضها الآخر.

وأكمل ابنه سعود مسيرة العمالة لأميركا من بعده إلى أن تم إقصاؤه عن الحكم، وعاد الإنجليز إلى السعودية في زمن الملك فيصل. لكن أميركا لم تهدأ في العودة بقوة إلى السعودية، ونجحت في العودة إليها تدريجياً بعد قتل الملك فيصل، عن طريق ابن أخيه القادم من أميركا، ثم بعد موت الملك خالد الذي كان لا علم له بالسياسة، عادت أميركا وحسمت الأمور لها نهائياً مع تولي الملك فهد الحالي للحكم، الذي صرّح في إحدى سهراته في أميركا لمجلة تايمز الأميركية: (لقد أخطأ أتاتورك لأنه سعى لهدم الإسلام من الرأس، أما أنا فسأهدمه من الجذور) ■

أزمة البلاد..
من المستفيد منها؟

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

إنه سؤال يطرح نفسه على أثر الاستنزاف المسلح على ساحة العراق، الذي ما برح يقاسي ما هو أمر من مرارة المواجهة، ويتجرع علقم الإبادة التفجيرية، وينتقل من نزف إلى نزف، ولم يجد من ينجده ويساعده على بناء أسس السلام وقواعد الاستقرار.

بل الملاحظ أن هناك أصواتاً تتصاعد من داخل العراق تارة ومن خارجه تارة أخرى، وهي تصب باتجاه التصعيد وإضرام النار التي تحرق كل شيء في هذا البلد.

مع العلم أن النزاع المسلح لم يقتصر على دائرة الشعب مع عدوه المشترك، بل أضحى السلاح موجهاً ضد بعضنا تحت ذريعة التعاون مع المحتل، أو الصمت تجاه ما يجري من مفردات هذه الأحداث، أو عدم مطالبة المحتل بإنهاء احتلاله وترك البلد بيد أهله، إلى غير ذلك من ذرائع ومبررات تدفع باتجاه الإبادة الدموية.

والجدير بالملاحظة عدة أمور:

الأول: يجب أن نعرف أن الصمت عن

مطالبة المحتل بإنهاء احتلاله - إن حصل هذا الصمت - لا يعني دائماً الرضا بالاحتلال وطأطأة الرأس لكل ما يقوم به المحتل، بقدر ما يعني الحكمة والصبر والحنكة السياسية، والانتظار إلى حين استنفاد وسائل الحل السلمي لإنهاء الاحتلال، لعدم كون الصدامات المسلحة هي الوسيلة التي يتوقف عليها الأمر، لاسيما وأن هذا البلد قد أثقل كاهله بالصراعات الدموية المتعاقبة والمتتالية بلا هوادة، وكأنه ساحة لتصفية الحسابات طيلة هذه الحقبة الزمنية.

الثاني: لاشك أن هناك جهات من أعداء الإسلام المستعمرين، ليس من مصلحتهم أن يروا البلد آمنا مطمئنا، بل تكمن مصالحهم في خضم دائم من النزاعات والصراعات واللااستقرار، وذلك لتحقيق عدة أغراض، لكل جهة غرضها ودافعها من وراء هذا الصراع، وقد يريد البعض تحقيق كل الأغراض على ساحة الشعب العراقي:

أ - هناك من يريد إبراز أن الشعب العراقي المسلم، هو شعب عنفي بعيد عن الأساليب الحضارية لحل القضايا والأزمات، وأنه أرضية غير صالحة لأي نمط ديمقراطي، لأنه غير قادر على حل قضاياه ومشاكله بنفسه.

ولذلك راحت هذه الجهات في وقت من الأوقات، تدعو إلى تدخل عناصر أو جهات لا صلة لها بواقع المسلمين كالبابا يوحنا مثلاً، فإنا وإن كنا نكن لهؤلاء الاحترام من موقع إنسانية

الإسلام وانفتاحه، ولكن من الصعب بمكان أن يتدخل غير مراجع الدين من المسلمين في حل أزماتنا وقضايانا التي أتسع لها ولغيرها الإسلام وقياداته الدينية والسياسية.

ب ـ هناك من يسعى إلى تخريب ما تبقى من البنية التحتية للبلاد، والتي لم تخرب إبان سقوط الطاغية صدام، لأن الحاكم آنذاك سلّم العاصمة وكل البلاد على طبق من ذهب، مضافاً إلى حروبه ومغامراته الجنونية التي حولت العراق إلى صحراء. وقد نقلت عن الطاغية صدام قولته إبان حرب الثمانينات التي لم ينشرها الإعلام، وإنما تناقلتها الأوساط الشعبية عنه: إذا احتلت البصرة من قبل الجيش الإيراني فسأسلّم العراق كله أرضا محروقة.

وعلى هذا الأساس، فإن هذه النزاعات والصراعات العسكرية، تستغلها ذيول صدام، من أجل أن يكون هذا البلد هشيماً محروقاً، ولقمة سائغة لتنافس الشركات الأجنبية، من أجل ابتزاز خيراته وثرواته تحت ظل البناء والإعمار.

ج ـ هناك من يرمي إلى امتصاص لعنة الشعب والتأريخ على الوضع السابق، وعلى السياسة التي كانت تحكمه بلا ضوابط إنسانية، فقد أرادت أن تظهر النظام المقبور بمظهر البراءة والنقاء، وتجعل من هذه الأزمات عاملاً للترحم على دكتاتورية صدام، وكما جاء ذلك على ألسن الكثير ممن يمثلون على الشاشات الفضائية، ولا علينا بذكر أسمائهم ومواقفهم السياسية.

د ـ وهناك من يرمي إلى شل الطاقات، وإشغال قادة الدين والمفكرين والتربويين بتلك الأزمات عن ممارسة دورهم في تربية الجيل وتثقيفه، وهو أحوج ما يكون إلى منهج تربية، وإعداد جديد يملأ فراغه الذي بات يتلقى فيه ما يتلقى من ممارسات منحرفة، ومن أفكار تنظيمية جديدة تروج في الأوساط الاجتماعية، بمختلف طبقاتها ومستوياتها لخدمة الأهداف الاستعمارية والإلحادية.

فإن من الأساليب التي تحرف شباب الأمة عن عقيدتهم وقيمهم الأخلاقية، وتصرف اهتمامهم إلى دوامة من الحيرة والارتباك، وهي: الحروب والنزاعات والمعاناة، لاسيما وإن سني الحروب والاحتدامات والضغوط السياسية للحكم الظالم، قد خلقت وضعاً أخلاقياً خطراً في واقعنا، يحتاج إلى علاج تربوي شامل، قد تحول ـ بل حالت ـ دونه أو دون تأثيره تلك الأزمات بكل أشكالها.

الثالث: من المؤسف عدم التقدير والتقييم لموقف المرجعية الدينية من قبل البعض، سواء كان هذا بقصد أو بدون قصد، فقد أخذ البعض يحاكي البعض الأخر في صياغة النقد وإثارة الشبهة والشكوك ضد المرجعية، وتعليق كافة الإخفاقات السياسية والأمنية والخدمية على عاتقها، وكأن هؤلاء هم أحرص من مراجع الدين على حرمة الدين والوطن والشعب.

ولاشك في أن هناك جهات معينة تغذي مثل هذه الحملات، وتدفع باتجاه إثارة الشكوك بهدف إسقاط هيبة المرجعية الدينية الرشيدة في نفوس أتباعها، وهو جزء من المؤامرة الكبرى التي يحوكها أعداء الإسلام ضد القيادات الروحية للأمة، من أجل تقويض الوجود

الإسلامي الأصيل، حيث تعتبر المرجعية أحد أركانه وقواعده المهمة.

فعلى الإنسان المؤمن المنصف أن يتفهم عدّة أمور، قد لا يكون التنبيه عليها شيئاً جديداً يتجاوز عملية التذكير، وهي:

أولا: لقد صبت جهود المرجعية الدينية الرشيدة في طريق دعم إرادة الشعب لا الخروج على إرادته، فلم يكن موقفها معاكساً لهذه الإرادة حتى يكون الموقف مفروضاً على الشعب، وموجباً لتوجيه اللوم والمؤاخذة، وذلك لأن الشعب ـ أساساً ـ مكون من فصيلين، هما:

الكيان السياسي الذي طرح نفسه على الساحة، وتصدى لتسلق هرم السلطة، والمواطن الذي ينتظر من هذا الكيان الرعاية والحماية والنصرة لمصالحة الوطنية، مضافاً إلى ذلك أن المرجعية الدينية لم تنتخب أو ترجح أشخاصاً حتى تكون مسؤولة عن هذا أو ذاك، وكشاهد على ذلك: يروى أن امرأة وهي (سودة) شكت إلى الإمام علي عليه السلام ظلم أحد ولاته، فرفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم أشهد أني لم آمره بتضييع حقك ولا بظلم خلقك).

فعلى الإنسان المؤمن الواعي، أن يدرك على الأقل أن صيغة الحكم انتقلت من العصابات الدكتاتورية التي استأثرت بالسلطة، إلى صيغة أخرى تمثل الإرادة الجماهيرية للشعب، فكانت الحركة في الانتخابات حركة راشدة نقلت السلطة إلى الناس، ومكنتهم من الإدلاء بأصواتهم من أجل تقرير مصيرهم.

فلو تخلت المرجعية منذ أول خطوة على طريق البناء السياسي لهذا البلد، لكان ذلك موجباً للتقصير في حق هذا الشعب، والتضحية بمصالحه وحقوقه الوطنية، ولو دخلت المرجعية في العمق السياسي على مستوى تنصيب أو عزل الأشخاص، لأصبحت في المقاييس والاعتبارات السياسية طرفاً سياسياً ذا حجم محدود على مستوى الواقع السياسي الداخلي.

فلذلك وقفت المرجعية الدينية، موقفاً وسطاً مجرداً عن كافة الاتجاهات والميول السياسية والطائفية، وهي تمثل دور الراعي الحريص على رعيته، والمرشد إلى ما هو أقرب للصالح العام، وما هو أمنع عن المفاسد الكبرى.

ثانياً: ما على الكيس الفطن، إلا أن يدرس أي ظاهرة من الظواهر والمواقف السائدة في المجتمع، ليرى ما إذا كانت هناك جهات سياسية أو إعلامية تقف وراءها، فتصبح دوافعها تدمير السمعة وتسقيط الرموز والقدوات، ليكون منها على حذر، والكياسة عقل، والفطنة وعي، فإذا اجتمعت الكياسة والفطنة في شخصية الإنسان، استطاع أن يتعامل مع الأشياء والأشخاص والأفكار والأحداث والتطورات تعامل الحكيم المستنير المتدبر المتروي.

ثالثاً: بما أن حق النقد يرتبط بحرية التعبير عن الرأي ووجهات النظر، فينبغي أن تحترم وتصان هذه الحرية بما لا يتنافى مع القانون، ولا يخرج عن إطار الأخلاق والآداب الإسلامية، فتصبح تبذيراً مفرطاً بالكلمات والعبارات، التي يحاكي بها الإنسان كل من هب ودب من الناس المغرضين، إن النقد لأي موقف من المواقف، لابد وأن يندرج ضمن الخطوات

التي تهدف إلى البناء والتغيير، من أجل الوصول إلى الوجه الأكمل.

فما على الإنسان المؤمن إلا أن يقدم الكلمة الصادقة، والفكرة التغييرية المستلهمة من واقع وموضوعية الرسالة التي يؤمن بها، والتي تلقاها بأصدق لهجة وأنقى كلمة، بعيداً عن تأثير المزاج وغبار الهوى.

رابعاً: إن المطلوب من شبابنا ومثقفينا وجميع أبناء الأمة، أن يعلموا أن نجاة الأمة وتخلصها من الفتن التي تكتنف وجودها، إنما يتم على ثلاثة أسس هي:

أ ـ الوعي الديني، وترصين قواعد الإيمان الذي يعد من ضرورات هذه المرحلة الحساسة من حياتنا، وتغيير المحتوى الداخلي وتوثيق الرابطة بالله عز وجل، والتي على أساسها يتم بناء الرابطة الاجتماعية وصلاح واقع الأمة، كما جاء في الحديث الشريف: (من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين العباد).

ب ـ الوعي والإدراك لأبعاد المؤامرة الواسعة التي تهدف من ناحية، إلى التغرير والتضليل والتحريف والتشويش والإرباك الذي تتبناه الفضائيات ووكالات الأنباء والصحافة، ومن ناحية أخرى إلى تصفية الوجود الإسلامي الأصيل، بالقضاء على رجال الفكر والعلم والسياسة وفق مسلسل إجرامي منظم من ناحية، ومن ناحية أخرى ـ على الأقل ـ محاولة إلغاء العلاقة بين الأمة وبين قيادتها الروحية، بترويج الأوهام والمدعيات المدعومة، التي تتبناها بعض العناصر التي بدأت تظهر على الساحة في هذا الظرف، وتصنع لها الهالات الإعلامية بتجاهل مكانة ومنزلة العلماء الذين تشهد لهم الأوساط العلمية بالكفاءة والجدارة.

ج ـ بالرغم من التعددية السياسية التي نشاهدها، فإن التعددية السياسية وإن كانت تعني تعدد الآراء والأفكار، فإنها لا تعني تعدد الموقف وتشرذم القرار، فلابد من التصدي الجريء، والموقف المستند إلى قوة الإرادة والتصميم، وإلى التلاحم على خط المواجهة، من أجل تفويت الفرصة على أعداء الإسلام والحرية والاستقلال، وهي ثوابت رفع شعاراتها هذا الشعب، من أول وهلة لسقوط الحكم الصدامي الجائر، كما أن هذه الثوابت لا يتحقق الانتفاع بها واستثمارها في البناء الإجتماعي، ما لم تتجرد عن التدخل الخارجي وعن التزوير والتحريف والانحراف في مفاهيمها وتطبيقاتها.

(يا أيها الذين آمنوا أصبروا و صابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ■

«حيثما تكن المحبة.. فثم وجه الله»

طالب علي الشرقي •

ينابيع استوقفني النص المترجم للكاتب الروسي الشهير (ليو تولستوي) (حيثما تكن المحبة، فثم وجه الله) المنشور في مجلة (الهاتف) النجفية بعددها ٢١٤ من سنتها السادسة ١٩٤٠م. وأثار في نفسي رغبة الإشادة بالتفاتة هذا الكاتب العالمي الكبير الذي نبه إلى حقيقة ينساها أو يتجاهلها معظم الذين يعبدون الله جل جلاله. فلو كانوا على تماس مع هذا المعنى الرفيع لتغير وجه الحياة الدنيا، ولأسدل الستار على الظلم والتعسف والأنانية، وسلب الحقوق وإزهاق الأرواح البريئة بغير وجه حق. فمن يعبد الله تبارك وتعالى ويتوجه إليه بقلب سليم، عامر بالإيمان، وملئ بالرحمة والمحبة، يحرز رضاه وفي كل موقف يلقاه سبحانه وتعالى.

والمحبة في لغتنا الشريفة تعني: الوداد، أو نقيض البغض. وقد يدعيها الأفراد والجماعات بدوافع متعددة كالعواطف (المتقلبة) والمصالح المتبادلة والعلاقات المفتقرة إلى التجربة

والابتلاء. إنها في مجملها محبة قصيرة العمر غالباً، وتبقى المحبة التي يرعاها العقل والوجدان ويدعمها الإيمان، ويمحضها الخلق الإسلامي الصادق، فوق المؤثرات، وأقوى من الرغبات الآنية قال الرسول الأعظم محمد ﷺ: (وِدُّ المؤمنِ للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان) أصول الكافي ٢: ١٥٤.

وتشكل المحبة النصف المشرق البهي من الحياة عند من يرون أن الكون ثنائي الترتيب. فيجعلون النور يقابل الظلام، والخير يقابل الشر، والحياة تقابل الموت...والمحبة تقابل البغض فهي بهذا تدخل في مصاديق الحسن مقابل مصاديق القبح.

والمحبة: تكشف عن صفاء النفس وخلوها من أدران الحقد، والكراهية، فعند صفاء النفس تنعدم لحظات الغفلة عن فعل الخير، وتزداد الرغبة في سيادة الفضيلة..وخير من يمثل ذلك: صفوة المؤمنين الذين أمتحن الله قلوبهم وأسبغ عليهم نعمة الصفاء النفسي وحب الطيبين وبغض الأشرار المفسدين.

والمحبة إيثار، وقد أشاد الله تبارك وتعالى بهذه السجية فذكرها في القرآن المجيد بقوله: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر:٩.

ولابد لنمو هذه الصفقة من روح عامرة بالمحبة والتفاني في فعل الخير تقرباً واحتساباً ففي تغليب مصلحة الغير

تضحية لا تتحقق بعيداً عن توفر أركان المحبة، فليس من المعقول أن أجوع ليشبع خصمي، أو أموت ليحيا عدوي، أو أشقى ليسعد المبطلون. ولو رجعنا إلى تاريخنا العربي الإسلامي لعثرنا على جملة من مواقف الإيثار، ولو فتشت عن الدوافع لبرزت أمامك أولاً المحبة سواء كانت شخصية أو قبلية، عقيدية أو قيمية. وقد تصل التضحية في إيثار الغير حدَّ الاستشهاد. ومن ذلك ما حصل لعطاش معركة اليرموك، وأعظم من ذلك ما شهدته واقعة كربلاء من تضحية وإيثار منقطع النظير، وكانت لحمته وسداه محبة أهل البيت عليهم السلام وحب التقرب إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وإنّ الثمرة من وراء ذلك العطاء الجسيم: ولوج عالم النور، والتوجه باطمئنان إلى مرافئ الفردوس والخلود.

والمحبة تصوف من وجه، ما دامت تعمل على تصفية النفوس وتطهير القلوب، وترسم مساراً منوراً للقيم والأخلاق التي تعمل على إفشاء السلام في الأرض، وإذكاء جذوة الشوق للقاء رحمة الله وفيوضات آلائه وغفرانه.

إن لفظة (أَحَبَّ) واشتقاقاتها وردت في القرآن المجيد في ثلاث وثمانين آية، موزعة على إحدى وثلاثين سورة. وفي الآية (٣٩) من سورة طه وردت لفظة (محبة). قال تعالى: (وألقيت عليك محبة مني..) والمقصود هنا رسول الله موسى عليه السلام فالله سبحانه وتعالى جعل من يرى موسى يحبه حتى عدوه فرعون فسلم من شره، وأحبته امرأة فرعون فتبنته وربته في حجرها. وهذه المحبة نور رباني فهي أعلى درجات المحبة لا ينالها إلا من اصطفاه الله جل جلاله. وتبقى المحبة الأدنى الفاشية بين الناس متصلة بقبس من تلك الأنوار القدسية، وإلاّ لا يصدق عليها معنى المحبة. وهي من نفحات الإيمان. فمن أحب فقد انحاز إلى رحاب الإيمان واتجه إلى حيث اللطف الإلهي الذي لا يخلو منه زمان أو مكان.

والمحبة ولاء، ولاء ذو بصيرة مقروناً بكمالات المحبوب وطهارة روحه وسلوكه، ولاء تتقارب فيه قدرة المحب وسلامة أحكامه تجاه المحبوب.. إنها محبة ذات أبعاد مبدئية تحقق رفداً وإسناداً لفعل الخير وإصلاح الشأن والخروج من دائرة الأنا، إلى الانصهار بالصالح العام الذي يرسم للمخلصين المحبين لأوطانهم وإخوانهم في الدين ثوابت البقاء والخلود في ذاكرة الخيرين، بل وفي صفحات التاريخ، فالنصح والتضحية والحب في الله آيات مشرقات على وجه كل إنسان مؤمن صادق شريف.

نخلص من ذلك إلى أن المحبة على ما هي عليه من الفضيلة وارتباطها بالجوهر الإنساني، تختلف في قيمتها باختلاف الناس في إيمانهم، وحسن تربيتهم، ودرجة ردود الأفعال في نفوسهم وأمزجتهم. ولذا تتدرج من نقطة الرياء والمجاملة إلى درجة غلبة العواطف وحكم المصالح أو الاعتبارات العرفية والموروثات الاجتماعية حتى تصل إلى درجة التفوق ثم الامتياز والقدوة.

لنأخذ مثالاً للمحبة والقدوة، الخالدة على مرّ الدهور، والتي تظافرت على ترسيخها عوامل شتى كان في مقدمتها الكمال الذاتي والاتحاد الإيماني المطلق. تلك المحبة التي جمعت بين

سيد المرسلين ﷺ وسيد الوصيين عليه السلام، وأنضجتها فترة الاحتضان والتربية، وصفاء الفطرة، واستيعاب الدروس، وكان وراء كل ذلك الإرادة العليا في إتمام النعمة بيد أن الله سبحانه وتعالى لم يخرجها من دائرة النوع الإنساني في مشاعرهما وأحاسيسهما..فعندما نام (علي) عليه السلام في فراش (النبي) ﷺ وهو يتوقع المصير ليلة الهجرة الشريفة، لم يكن مرغماً ولا محتاطاً للعواقب بل كان معبأً بالمحبة التي أشرقت في وجدانه فاستثمرها في أعلى قياساتها وقد أشرك فيها محبوبين في كيان موحد:

١- ابن عمه المبعوث رحمة للعالمين.

٢- الدين الجديد (الإسلام العظيم) الذي آمن به ويريد له البقاء والاستمرار والنجاح.

لقد جسد أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام المحبة بأدق تفاصيلها وأسمى معانيها طيلة فترة حياته وكانت جزءاً من شخصيته، تصدر عن رويّة وقصد من عقله وعواطفه وعقيدته في توحد مثالي، واستمرار لا تعتوره فترة فتور أو تراجع، محبة من اقتدى بها وسار بهديها يرتفع إلى مراتب الصالحين.

إننا اليوم أحوج ما نكون إلى المحبة ونكران الذات لنصون وطننا ونحقن دمائنا، محبة توحد أهدافنا وتدفع عنا غائلة العدوان وتجاوز الجيران، وتقوي في وجداننا ثوابت الإيمان.

إننا في ظاهرنا مسلمون موحدون نحب العدل والسلام (والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده) كما جاء في سنة المصطفى ﷺ فلنعمل على إيصال هذا التوجه إلى بواطننا، ونفتح الكوى ليدخل نور الإيمان إلى قلوبنا، وندعوا الله صادقين في صلواتنا حين نردد قوله تعالى: (أهدنا الصراط المستقيم) ليتجلى نوره المقدس في نوايانا وأفعالنا، وأن نؤمن بأن المحبة نعمة من نعم الله، ووسيلة تقربنا إلى الله. وبذا ندرك أن القول الجميل (حيثما تكن المحبة فثم وجه الله) حقيقة ■

التجارة الإلكترونية

E-COMMERCE

م. م. علي الفضل •
كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

ينابيع

التجارة الإلكترونية هي عبارة عن بيع وشراء البضائع والخدمات والمعلومات من خلال استخدام شبكة الإنترنت، حيث يلتقي البائعون والمشترون والسماسرة عبر هذا العالم الرقمي من خلال المواقع المختلفة من أجل عرض السلع والخدمات والتعرف عليها والتواصل والتفاوض والاتفاق على تفاصيل عمليات البيع والشراء. وهناك تعريف آخر هو: (أن التجارة الإلكترونية هي تنفيذ بعض أو كل المعاملات التجارية في السلع والخدمات التي تتم بين جهة تجارية وأخرى، أو بين مستهلك وجهة تجارية باستخدام تقنية المعلومات والاتصالات) وهو التعريف المعتمد من قبل منظمة التجارة العالمية، كما يتم من خلال الإنترنت أيضا دفع ثمن الصفقات من خلال عمليات تحويل الأموال عبر بطاقات الائتمان أو غيرها من وسائل الدفع الإلكتروني كما يمكن أيضا الجمع بين وسائل التجارة الإلكترونية والتقليدية في آن واحد من خلال القيام بجزء من الإجراءات في الوسط الإلكتروني مثل الاتفاق على السعر والكمية

واستكمال ما تبقى من خلال الأنشطة الملموسة مثل معاينة البضائع أو استلامها من مكان الشحن أو الدفع النقدي.

والتجارة الالكترونية تلبى احتياجات المستهلك في المكان والتوقيت المناسبين وبالسعر المناسب، سواء داخل الحدود السياسية لدولة ما أو خارجها بصرف النظر عن نوعية السلعة ومحل التجارة أو مدى مشروعيتها أو القانون الذي تخضع له، والتي تستخدم فيها وسائل إلكترونية للتعاقد وللسداد.

ويمكن تقسيم التجارة الإلكترونية إلى عدة أنواع مراعياً في ذلك موقف طرفي المعاملة التجارية:

النوع الأول: التوزيع المباشر (Business to Consumers) وهى تتم بين المنتج أو الموزع والمستهلك النهائي للبضاعة ويتم السداد فيها من خلال كروت الائتمان أو الحسابات الرقمية.

النوع الثاني: التجارة بين الشركات (Business to Business) ويتم التعامل فيها بين شركتين من قطاع الأعمال كما يتم السداد فيها من خلال التحويل المباشر أو الحسابات الرقمية أو البنوك الإلكترونية.

النوع الثالث: التجارة المغلقة (Intra Business) وهى أيضاً تتم بين شركات غير أنها تتميز بمحدودية أطراف التعامل فلا يسمح بشركة خارج هذا النطاق بالدخول أو الإطلاع على تفاصيل

الصفقات.

النوع الرابع: (Person to Person) وهو نوع أقل شيوعا وهو تجارة الأفراد مع الأفراد ويبرز على نحو أكثر وضوحا عبر مزادات الإنترنت التي تباع فيها البضائع الجديدة والمستعملة، ولعل أبرز مواقع هذه المزادات هو ذلك الموقع الذي يعرف باسم (E-Bay) ويقوم أصحاب السلع بعرض سلعهم على هذا المزاد الإلكتروني من خلال صورة للسلعة مع ذكر كافة مواصفاتها وتحديد سعر مبدئي لفتح المزاد ويقوم المزايدون باقتراح أسعار مختلفة لشراء السلعة ويفوز بها في النهاية صاحب أعلى سعر بشرط أن يتم ذلك قبل الموعد المحدد لانتهاء المزاد، وربما تقوم الشركات بالاشتراك في موقع موحد يحتوي العديد من الشركات التي تكون مصنفة حسب النشاط الذي تتعامل فيه أو حسب عروض البيع والشراء أو الاستيراد أو التصدير أو حسب التوزيع الجغرافي، وتنقسم المواقع التي تقوم بهذه الخدمة إلى مواقع مجانية ومواقع غير مجانية، حيث يتم في الأولى تقديم خدمة الإعلان عن البضائع والبيع والشراء والحصول على كافة معلومات وخدمات الموقع دون مقابل مادي، بينما في الثانية لا يتم الحصول على الخدمة أو جزء منها إلا من خلال دفع مقابل مادي على صورة اشتراك شهري أو سنوي أو غير ذلك.

والجدير بالذكر أن المواقع المجانية تحصل على قدر لا بأس به من العائد المادي من خلال نشر الإعلانات المدفوعة الثمن ذات المواصفات الخاصة والتي تختلف عن الإعلانات المجانية الخاصة بالبضائع من حيث المكان والحجم وطريقة العرض والألوان المستخدمة.

وحسب آخر تقرير لمؤسسة NUA المتخصصة في إحصائيات الإنترنت فإن عدد مستخدمي الإنترنت حول العالم قد بلغ ما يزيد عن ٧٥٠ مليون شخص في شباط من عام ٢٠٠٨ على الرغم من أن هذا العدد لم يتجاوز ١٦ مليون مستخدم في ديسمبر من عام ١٩٩٥ وعلى الرغم من هذا العدد الهائل لمستخدمي شبكة الإنترنت فإننا نجده يفتقد التوزيع المتواصل بين أنحاء العالم حيث ذكر نفس التقرير أن هذا العدد يشتمل على ٣١،٦ مليون شخص من أفريقيا و٢٤،١٨٧ مليون شخص من منطقة آسيا والباسيفيك و٩١،١٩٠ مليون شخص من أوروبا و١٢،٥ مليون فقط من منطقة الشرق الأوسط بينما يبلغ عدد مستخدمي الإنترنت في الولايات المتحدة وكندا ٦٧،١٨٢ مليون شخص وفي منطقة أمريكا اللاتينية يبلغ عددهم ٣٥،٣٣ مليون مستخدم وعبر هذه القفزة الرهيبة في عدد مستخدمي الإنترنت حول العالم يمكننا أن نستشف مدى التزايد الهائل والمتواصل في حجم مستخدمي الشبكة على نحو يشير إلى أهميتها المتصاعدة وتغلغلها في كل نواحي الحياة، ومن أهم الجوانب التي تستخدم فيها الشبكة العالمية للاتصالات هو مجال التجارة الإلكترونية التي بلغ عائدها (١،٤) تريليون دولار أمريكي في نهاية عام ٢٠٠٣ وارتفع هذا الرقم إلى (٢،٧) تريليون دولار في نهاية عام ٢٠٠٤، ومن المتوقع أن يصل حجم عائدات التجارة الالكترونية إلى (١٢) تريليون دولار نهاية عام ٢٠٠٨.

على الرغم من المزايا التي لا تعد ولا تحصى للتجارة الإلكترونية وفوائدها العظمى التي تعود على التاجر والمستهلك والمجتمع ككل من توفير للوقت والوصول إلى آفاق بعيدة، إلا أنها مازالت تعاني الكثير من المشاكل والمعوقات التي تحول دون الاستفادة الكاملة من خدماتها ومزاياها العظيمة، وسوف نذكر أهم المزايا والعيوب للتجارة الالكترونية وكما يلي:

أولاً: مزايا وفوائد التجارة الالكترونية

الكلفة: أهم ما يميز أنشطة التجارة الإلكترونية هو انخفاض التكلفة مقارنة بأنشطة التجارة التقليدية إلى حد كبير حيث إنها لا تحتاج إلى متاجر أو معارض أو مخازن أو مجمعات تسويق إذ يكفي وضع موقع على الإنترنت للتعريف بنشاط الشركة وعرض منتجاتها ومزاياها كما يؤدي ذلك أيضا إلى خفض عدد العاملين بالشركة إذ يكفي عدد لا يتعدى أصابع اليد الواحدة للإشراف على أنشطة التجارة الإلكترونية وخدمة العملاء.

توافر سجل إلكتروني لأنشطة الشركة: تتيح أنشطة التجارة الإلكترونية للشركة ميزة وجود سجل إلكتروني لكل عمليات الشركة من بيع وشراء وأسماء العملاء على نحو دقيق لا يحتمل الخطأ وذلك لأنه يعتمد على تقنية التسجيل بالكمبيوتر مما يوفر تكلفة ووقت وجهد وعدم الاستعانة بالأنشطة الورقية بما تتطلبه من استهلاك للمواد ووجود عدد كبير من العاملين والاحتمال الأكبر للخطأ في تسجيل البيانات.

فعالية أكبر في التسويق: تستطيع الشركة من خلال موقعها على الإنترنت تحقيق تسويق أفضل لمنتجاتها وأكثر فعالية من خلال الوصول إلى عدد هائل من المستهلكين على مستوى العالم ولمدة ٢٤ ساعة يومياً، حيث يمكنها تلقي طلبات المستهلكين في أي ساعة من ساعات الليل أو النهار والرد عليها في الحال. كما يمكن أيضا تلقي اقتراحات المستهلكين أو التجار والعمل على تحسين منتجات الشركة وتلافي أية عيوب بها كما تستطيع الشركة أيضا شرح كافة تفاصيل المنتج وكيفية استخدامه أو حتى تركيبه الكيميائي إذا كان مادة كيميائية أو وضع دليل المستخدم على الهواء مباشرة.

التعرف على المنافسين: يمكن للشركة التعرف على منتجات وأسعار الشركات المنافسة مما يتيح لها دراسة السوق ووضع أسعار أكثر تنافسية من أجل تحقيق النجاح والحصول على نصيب وافر من العملاء كما يمكنها التعرف على أفكار جديدة في المجال الذي تعمل فيه من أجل المزيد من الابتكار وتحسين المنتج والبقاء على مستوى المنافسة.

القدرة على التواصل مع الشركاء: يمكن للشركة الاتصال على نحو أسهل بشركائها أو عملائها من خلال البريد الإلكتروني أو الرسائل الفورية عبر برامج التخاطب على الإنترنت مما يؤدي إلى الوقوف على احتياجات الأسواق المختلفة وتحقيق التواصل المستمر مع الجمهور.

سهولة الحصول على المنتج: يستطيع عملاء الشركة الحصول على منتجاتها

في أي وقت دون تزاحم أو انتظار ولكن بمجرد الضغط على لوحة المفاتيح يمكن إرسال طلب الشراء وتقوم الشركة بإرسال المنتج في الحال فور قيام العميل بدفع ثمنه ويستطيع عملاء الشركة الحصول على منتجاتها في أي وقت دون تزاحم أو انتظار ولكن بمجرد الضغط على لوحة المفاتيح يمكن إرسال طلب الشراء وتقوم الشركة بإرسال المنتج في الحال فور قيام العميل بدفع ثمنه عبر إحدى وسائل الدفع الإلكتروني.

تكوين أسواق أكثر تخصصاً: يمكن للتجارة الإلكترونية أن تتيح إمكانية إنشاء أسواق أكثر تخصصا على نحو قد لا يكون ممكنا عبر سبل التجارة التقليدية حيث يمكن على سبيل المثال إنشاء موقع لبيع نوع معين من الزهور أو مواد البناء أو الطعام أو أدوات الكمبيوتر.

تكلفة اتصالات أقل: تتيح الإنترنت وسيلة اتصال رخيصة الثمن إلى حد كبير مقارنة بوسائل الاتصال التقليدية مثل التليفون والفاكس كما تؤدي إلى توفير الوقت والجهد حيث يمكن على سبيل المثال إرسال رسالة بالبريد الإلكتروني إلى العديد من الأطراف في نفس اللحظة.

ثانياً: عيوب التجارة الإلكترونية

مشاكل الأمن: تتمثل أبرز عيوب التجارة الإلكترونية في الجوانب الأمنية التي من بينها إمكانية قيام قراصنة الكمبيوتر باختراق مواقع التجارة الإلكترونية في بعض الأحوال وسرقة المعلومات الموجودة بها والتي قد يكون من بينها أرقام بطاقات العملاء كذلك يمكن تخريب هذه المواقع أو تدميرها عن طريق الفيروسات أو تغيير محتوياتها أو تعطيلها عن العمل أو محو البيانات الموجودة بها.

ضعف إشارة الانترنيت أحيانا: عدم وجود حيز حجمي كاف (Bandwidth) للاتصالات السلكية واللاسلكية على الرغم من اتساع شبكة الإنترنت وتشعبها فإنها لا تزال تفتقر إلى الحيز الكافي للاتصالات على نحو يتناسب مع الكم الهائل في الأنشطة التجارية التي تتم من خلالها.

التغير المستمر والسريع في البرمجيات: على نحو مستمر تتغير البرمجيات المستخدمة في إدارة مواقع التجارة الإلكترونية مما يتطلب عملية تحديث مستمرة تتطلب تكلفة باهظة في بعض الأحيان.

وأحيانا عدم توافق بعض برامج التجارة الإلكترونية مع بعض تطبيقات البيانات لأن هناك تقدماً وابتكاراً مستمراً في تطبيقات البيانات فإن بعض هذه التطبيقات لا تتوافق مع البرامج المستخدمة في التجارة الإلكترونية، الأمر الذي يؤدي إلى عدم الاستفادة من هذه التطبيقات.

كما أن هناك بعض المشاكل الأخرى التي تتمثل في إمكانية تعطيل مواقع التجارة الإلكترونية وعجز القوانين الحالية عن ملاحقة القراصنة والحاجة إلى تشريعات جديدة.

عناصر التجارة الإلكترونية

للتجارة الالكترونية عناصر

ومكونات تتكامل مع بعضها لتسهيل ممارسة التجارة، لكن اختلفت الآراء عليها، لذا سنتطرق لأهمها وأكثرها شيوعاً من وجهة نظرنا وهي كالآتي:

١- السوق الإلكترونية: مثل سوق الأسهم والعملات وسوق المنتجات والخدمات والمحال الالكترونية.

٢- النقد الإلكتروني: استخدام البطاقات الائتمانية والأرصدة والحسابات الجارية الإلكترونية (البنوك) أو من خلال تقنيات الاتصال (الإنترنت، شبكة المناطق العريضة (WAN)، الموبايل).

٣- البنك الإلكتروني: وهي على نوعين البنوك المحلية والبنوك الدولية.

٤- المستفيدين النهائيين:

أ. تجار.

ب. شركات.

ج. زبائن.

د. حكومات.

٥- المنتجات والخدمات الإلكترونية.

أ. المنتجات (السيارات، الحاويات، الأجهزة الإلكترونية... الخ).

الخدمات (حجز تذاكر السفر، الاستشارات، خدمات البنوك... الخ).

٦- إدارة الإعمال الإلكترونية.

أ. التسويق الإلكتروني (الترويج، التوزيع).

ب. إدارة الموارد البشرية (تدريب الكوادر عبر الأقمار الصناعية).

ج. الإدارة المالية (إدارة الاستثمارات، البحث عن الفرص).

د. إدارة الإنتاج والعمليات (مراقبة المنافسين، تحقيق إدارة الجودة الشاملة) ■

أجوبة مسابقة العدد (٢٢) وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ج. ١٢٤ يوم

السـؤال الثـاني: ج. ذو حسم

السـؤال الثالـث: أ. ١١ رمضان

السـؤال الرابـع: أ. الشيخ أحمد الوائلي

السؤال الخامس: ب. جون بن حوي

السؤال السادس: أ. ٢

السـؤال السـابع: ب. علي بن موسى بن طاووس

السـؤال الثامـن: أ. أحتسب نفسي وحماة أصحابي

السـؤال التاسـع: ب. زيارة عاشوراء

الفائزة بالجائزة الأولى: فاطمة الزهراء ضاري عبيس/ كربلاء ـ حي العامل.

الفائز بالجائزة الثانية: باسم بچاي جويد/ الديوانية ـ الحي العسكري.

الفائز بالجائزة الثالثة: رسول دريول جاسم/ النجف الأشرف ـ الرضوية.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٢٤)

١ بعد مغادرة الإمام الحسن عليه السلام الكوفة وانتقاله إلى المدينة، انصرف إلى نشر تعاليم الإسلام ورعاية الأيتام، فكم سنة بقي في المدينة لحين وفاته؟

أ ـ ٥ سنوات

ب ـ ١٠ سنوات

ج ـ ١٥ سنة

٢ اشتهر بتفسيره المعروف بتفسير شبر، طرق جميع أبواب العلوم ففتحت له على مصاريعها، وله شرح على الزيارة الجامعة، فما اسم الشرح؟

أ ـ الشموس الطالعة

ب ـ الحقائق الناصعة

ج ـ الأنوار اللامعة

٣ مسجد عدّه الإمام علي عليه السلام ضمن أربع بقاع قدس بالكوفة، فقال عنه: «هو موضع بستان لا تذهب الليالي والأيام حتى تنبع عنه عين تنظف ما حواليه وفيه قبر أخي يونس بن متى» فما اسمه؟

أ ـ مسجد الحمراء

ب ـ مسجد الشجرات

ج ـ مسجد صعصعة

٤ نزلت الآية المباركة (**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه**) بعدما خاطب الرسول صلى الله عليه وآله بعض قادة المسلمين بقوله: «والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام» وكان هذا الخطاب إثر واقعة حصلت مع المشركين، فما اسمها؟

أ ـ غزوة حمراء الأسد

ب ـ غزوة النخلة

ج ـ غزوة ذات السلاسل

كوبون مسابقة

ينابيع

العدد (٢٤) جمادى١ ـ جمادى٢ ١٤٢٩هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ عرف في الأدعية دعاءان باسم الجوشن، أحدهما يقال له: الكبير والآخر: الصغير، فما معنى كلمة الجوشن؟

أ ـ الرحمة النازلة

ب ـ الدرع الواقي

ج ـ السراج المنير

٦ **ولأي الأمور تدفن ليلاً**
بضعة المصطفى ويعفى ثراها
بنت من؟ أم من؟ حليلة من؟
ويل لمن سنّ ظلمها وأذاها

من القائل؟

أ ـ شريف مكة الحسني

ب ـ المستنصر الفاطمي

ج ـ المهدي السنوسي

٧ عرف بالمحقق الحلي ولقب بنجم الدين، له كتاب شرائع الإسلام، توفي بالحلة ودفن بها، ففي أي عام توفي؟

أ ـ ٦٥٦ هـ

ب ـ ٦٦٦ هـ

ج ـ ٦٧٦ هـ

٨ حاصر المشركون الهاشميين في شعب أبي طالب وقد زادت وطأة الحصار عليهم، فكم سنة دام ذلك الحصار؟

أ ـ سنة واحدة

ب ـ سنتان

ج ـ ثلاث سنوات

٩ كان ثاني النواب الأربعة، عرف بالخلاني واشتهر بعدالته ووثاقته وعبادته، فما اسمه؟

أ ـ محمد بن عثمان

ب ـ علي بن محمد

ج ـ عثمان بن سعيد

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/شعبان/١٤٢٩هـ.**